عين المدينة

نبنيــها معاً

في المدينة...
- أزياء أفغانستان في الميادين ص4
- مشاهد من "أبو حمام" ص5
- حصار الجورة والقصور ص6
- أرباح داعش من الطحين ص8
- أجهزة داعش الشُرطية ص10+11
- زواج السوريات من المهاجرين ص12
- تدريب المعارضة السورية المسلحة ص14
- مصير كايلا مولر المأساويّ ص18

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

عـين المدينـة | العـدد (43) | 16 شبـاط 2015

مجلـة نصـف شـهرية مسـتقلة

«صار العدد داعشي بامتياز!»

طيلـة الأشـهر الأخـيرة، لم تخـلُ نقاشات هيئة تحرير المجلة من هذه العبارة، يقولها أحدنا متذمّراً من كثرة المواد التي تتناول داعش، على حساب تلك التي تعنى بنظام بشار الأسد، وهو العدوّ الأوّل للثورة وللسوريين.

والحقّ أن هذا الأمر مقلقٌ لمجلةٍ ثوريةٍ، لا سيما بعد أن دفع العداء لداعش الكثيرين إلى نوعٍ من الرخاوة في موقفهم من النظام، بفعل الذهول مما يرتكبه التنظيم من وحشيةٍ مبتكرةٍ وهوليووديةٍ، وغرابة ذلك لدى عموم السوريين، بشكلٍ بدت معه قوّات الأسد "مألوفةً" أكثر!

ولكن تبريـرنا كان ينطلق على الدوام من نقطتين؛ الأولى هي أن هذه المجلّة تعنى بشؤون محافظة دير الزور والمنطقة الشرقية أساساً، حيث زعمت داعش إقامة خلافتها، مما يجعل من متابعة أحوالها وأوضاع السكان في ظلّها أمراً أكثر إلحاحاً من متابعة جيوبٍ قليلةٍ متبقيةٍ للنظام، لم نهملها كلما استلزم الأمر.

والنقطة الثانية، وربما كانت الأهمّ، هي أن نظام الأسد بات يفتقد على العموم إلى أيّة "إثارةٍ" إعلامية، وصار جيفةً طائفيةً تجثم على صدور السوريين، لا تنتظر إلا الإزالة فقط. أما داعش، بغرابتها وارتجالها وعدم مركزيتها، فحقلٌ فيه الكثير مما ينبغي أن يقال ويُحلّل ويُرصد، لا سيّما مع قابلية انخداع سوريين بدعاويها أو انجذابهم إليها، وهو ما يفتقر إليه النظام الذي يزداد عرياً.

تقدّم داعش الكثير للصحافيّ؛ من مهاجراتها الألمانيات إلى خدماتها المزعومة والعاجزة، مروراً بمناهجها التعليمية، وحتى تحريمها "كشّ" الطيور مؤخراً! يطير الحمام...

دي ميستورا يرى الأسد جزءاً من الحلّ وأمريكا تنفي التنسيق معه

هيئة التحرير

لم يكن مستغرباً من مبعوث الأمم المتحدة إلى سوريا، ستيفان دي ميستورا، أن يصرّح عقب لقاءاته في دمشق مع قيادة النظام، بأن الأسد جزءٌ من الحلّ في سوريا، التصريح الذي خالف بموجبه مجمل الدعوات التي وجّهتها الدول الكبرى الأعضاء في الأمم المتحدة، والتي نفت أن يكون الأسد جزءاً من الحلّ، عبر أربع سنواتٍ من الأحداث في سوريا، بل وكرّرت معظم هذه الدول، ومنها الولايات المتحدة، ضرورة استبعاد الأسد من أيّ حلٍّ في المستقبل.

وجاءت تصريحات دي ميستورا عقب لقائه مع زير الخارجية النمساويّ، سيباستيان كورتس، الذي قال من جانبه إن الأسد لن يصبح "يوماً صديقاً ولا شريكاً". ولم يختلف تصريح دي ميستورا الأخير مع ما قاله قبل زيارته لدمشق، وعقب مؤتمر ميونخ للأمن، عندما وجد أن سعي الأمم المتحدة إلى تجميد القتال في حلب يواجه صعوباتٍ كبيرةً، أهمّها انعدام الثقة بين الأطراف السورية المتنازعة، لتكون مبادرات السلام في البلاد، بذلك، متوقفةً على تأمين الثقة بين الأطراف، وفق المبعوث الدوليّ. ولم يلقَ ما قاله دي ميتسورا رضاً أمريكياً، فجاء رد الخارجية الأمريكية سريعاً على لسان الناطقة باسمها جنيفر بساكي: "موقف الولايات المتحدة لم يتغير؛ الأسد فقد الشرعية ويجب أن يرحل عن السلطة".

ألمانيا.. خطاب التقرّب من روسيا

لم تقل المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل ما قاله دي ميستورا بشكلٍ مباشر، إلا أنها لمّحت إلى إمكانية تعاونٍ غير مباشرٍ مع الأسد، وذلك عقب اجتماعها مع رئيس الحكومة العراقية حيدر العبادي، حين وجدت أن النظر إلى تعقيدات الأمور في سوريا يجبر على ضرورة التعاون مع روسيا وتفهّم وجهة نظرها، نظراً للعمليات التي يقوم بها تنظيم الدولة الإسلامية (داعش). وقالت ميركل إنها لم تقتنع في السابق أبداً بالحديث حول إصلاح نظام الأسد، لكنها تثمّن الموقف الروسيّ والسعي إلى حلّ الأزمة حالياً، خاصة وأن روسيا أبلت بلاءً حسناً في قضية تسليم السلاح الكيمياويّ من قبل نظام الأسد، وفق المستشارة.

وقد لا يكون موقف ميركل المعلن هذا مقتصراً عليها، فمن المتوقع أن تتبعه مواقف أخرى من دولٍ كانت سبّاقةً في المطالبة بتدخلٍ دوليٍّ لإزالة نظام الأسد، لأن المخاوف الغربية تزداد يوماً بعد يومٍ من انتشار التطرّف في سوريا، والذي لا يقتصر على داعش، إنما بأت الشمال السوري مهيّأً لقيام حكم ذاتيٍّ بقيادة جبهة النصرة (تنظيم القاعدة) وفق وسائل إعلام غربية. كما أن أعداد الجهاديين الذين يتوافدون إلى سوريا من دول أوروبية في تزايدٍ كبير، وهو ما ينبئ بازدياد قوّة المتشدّدين، خاصةً وأن التحالف الدوليّ لم يستطع حتى الآن تقديم ما كان مأمولاً منه غربياً.

خطاب الوهم

وأمام صورةٍ بدت مشرقةً بالنسبة إلى رئيس النظام بشار الأسد، الذي يجد نوعاً من الالتفاف الدوليّ حول أولوية الحرب ضد داعش، وغضّ النظر عما يقوم به هو تجاه بقية المناطق، كان له أن يعبّر عن خيالاته في لقاءٍ مع هيئة الإذاعة البريطانية BBC، نافياً مجمل الحقائق التي أثبتتها الوثائق والتقارير الأممية التي تصدر بشكلٍ دوريٍّ، فلا براميل يستخدمها نظامه، ولا سلاحاً كيمياوياً تمّ استعماله في السابق، كما أن هناك تنسيقاً بينه وبين التحالف الدوليّ ضدّ داعش عن طريق الوسيط العراقي.

إلا أن المبالغات التي قدّمها الأسد لم تكن لتمرّ على الأطراف الدولية. والتغاضي الواضح الذي يمارسه الغرب تجاه سياسته لا يعني أن يستفيض بما يشاء من القول، وفق وجهة نظرٍ غربيةٍ أكّدها ردّ الخارجية الأمريكية التي نفت أيّ تنسيقٍ مع نظام الأسد بخصوص الهجمات ضد داعش، في حين ردّ وزيرٌ بريطانيٌّ بالقول إن الأسد واهمٌ فيما يقول.

وكالة AP

حملةٌ تقودها إيران ويتصدّى لها ثوّار درعا.. ودوما مجزرةٌ متجدّدة

هيئة التحرير

جرحى جراء القصف على دوما – وكالة AFP

لم تستطع الحملة التي شنّتها قوّات النظام، مدعومةً بميليشيا حزب الله اللبنانيّ والفصائل الإيرانية التي كانت لها الأولوية في المعركة، التقدّم أبعد من قرية دير العدس شمال محافظة درعا. فالحملة التي أعلن عنها النظام وسوّق لأهميتها خلال أسابيع، وأرسل بوزير دفاعه للرفع من معنويات الجند فيها، باتت شبه فاقدةٍ للتنسيق، كما أن نتائجها كانت غير متوقعةٍ بالنسبة إلى القادة العسكريين الذين خطّطوا لها. فعشرات القتلى من مختلف التشكيلات المقاتلة في صفّ النظام، إضافةً إلى مئات الجرحى، سقطوا في أوّل ثلاثة أيام من الحملة.

ولكن اللافت في هجوم درعا الأخير هو القيادة الإيرانية المباشرة له، بل قالت تسريباتٌ إنه تمّ بإشرافٍ وقيادةٍ مباشرةٍ من قاسم سليماني، قائد ما يسمّى بفيلق القدس، ذراع إيران الخارجية في الإرهاب. ووفق الأنباء المتواترة عن هذا الهجوم أعدم الضباط الإيرانيون 12 ضابطاً من جيش الأسد بتهمة "الخيانة" والتواصل مع الثوّار.

وتعمد القوّات الإيرانية اليوم إلى توجيه نيرانها بالقصف البعيد على مدينة الحراك والريف المجاور، بالتزامن مع محاولات تقدّم برّيةٍ مرتبكةٍ على المحور الجنوبيّ الغربيّ لدمشق باتجاه القنيطرة، فيما تتصدّى فصائل مختلفةٌ من الجيش الحرّ لتلك المحاولات. وأمام هذا المشهد أنشأت إيران مؤخراً جسراً جوّياً يصل مطار بغداد بمطار اللاذقية، لنقل مرتزقةٍ من العراق وإيران وأفغانستان للقتال في ريف درعا، ليكافئ كلّ مقاتلٍ سوريٍّ في صفوف النظام أربعة مقاتلين أجانب.

دوما تحت النار

في الوقت الذي انشغلت فيه وسائل الإعلام العالمية، ووزارات خارجيات الدول الفاعلة في الشأن السوريّ، بتداعيات إحراق الطيار الأردنيّ معاذ الكساسبة ومقتل ناشطة الإغاثة الأمريكية بعده، كان طيران الأسد ومدفعيته يتجهان إلى دوما ليقتلا أكثر من 200 شخص غالبيتهم من المدنيين، ويجرحا المئات خلال أربعة أيام من قصفٍ لم يتوقف، مترافقاً مع حصارٍ مشدّدٍ على المنطقة لمنع دخول الغذاء والدواء إليها. واتّسمت الحملة التي وُجّهت ضد دوما وعربين وكفر بطنا بالعشوائية، كما جرت عادة هجمات قوّات الأسد.

ومقابل القصف الشديد على دوما، رفضت لجنة التفاوض في بلدة ببيلا جنوب دمشق الجلوس مع وفد النظام للتوصّل إلى هدنةٍ جديدةٍ في المنطقة، بعد أن اتهم النظام سكان ببيلا وبلدا وبيت سحم بعدم الالتزام بالهدنة التي وقّعت سابقاً، والتي كانت تنصّ على إنشاء حواجز مشتركةٍ بين قوّات الأسد وأهالي هذه المدن. وإزاء ذلك قام النظام بإغلاق الممرّ الوحيد في المنطقة، الذي كانت المواد الغذائية والطبية والبضائع الأخرى تمرّ من خلاله.

مواجهاتٌ في ريف حماة الغربيّ

استعاد ثوار الريف الغربيّ لمحافظة حماة زمام المبادرة في استهداف مواقع النظام في المنطقة التي تعدّ من أكثر المناطق كثافةً لقوى الأسد العسكرية والأمنية في المحافظة. فقد سُجّل مؤخراً استهدافُ مجموعةٍ عسكريةٍ من جيش النظام قرب مدينة السقيلبية، أدّى إلى مقتل أكثر من خمسة جنودٍ بينهم ضابط. وترافق الاستهداف مع مواجهاتٍ في محيط بلدة اللطامنة التي تتعرّض لقصفٍ عنيفٍ منذ أكثر من عام، في سلوكٍ انتقاميٍّ من قبل قوّات النظام لخروجها عن سيطرته.

بعد كوباني، خسائر أخرى لداعش

تتوجّه الفصائل الكردية المقاتلة ضمن ما يسمّى بوحدات حماية الشعب، مدعومةً بفصائل من الجيش السوريّ الحرّ، وبطيران التحالف الدوليّ، نحو ريف مدينة تلّ أبيض على الحدود السورية التركية. وذلك بعد إتمام السيطرة على غالبية القرى المحيطة بعين العرب (كوباني)، وإجبار تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على التراجع شرقاً وجنوباً.

وبدأت المعارك في ريف تلّ أبيض على نطاقٍ محدودٍ، بينما ينقل ناشطون مدنيون من المنطقة أخباراً تفيد بتوجّه قوات دعم، وكتائب كردية، إضافةً إلى كتائب من الجيش الحرّ، لشنّ هجماتٍ ضدّ مقاتلي داعش باتجاهاتٍ مختلفة، نحو جرابلس غرباً وتلّ أبيض شرقاً، إضافةً إلى مناوشاتٍ مستمرّةٍ في القرى التي تسيطر عليها داعش شمال محافظة الرقة.

أزياء أفغانستان في الميادين

حنين سليمان

في أسواق مدينة الميادين اليوم؛ يتجوّل شبّانٌ ومراهقون بلباسهم الأفغانيّ وشعورهم الطويلة، في استعراضٍ حيٍّ لآخر صيحات الموضة الدارجة في ظلّ داعش، بينما تمشي النسوة مكسياتٍ بعباءاتهنّ السوداء.

الموضة الموسمية

درج ارتداء البدلات المموّهة و"اليشامر"، أو أغطية الرأس الملوّنة، كجزءٍ من التأثر بهيئة مقاتلي الجيش الحرّ الذين لم يكن يجمعهم لباسٌ موحّدٌ بعينه. ثم، ومع ظهور جبهة النصرة، استهوى ارتداء الزيّ الأسود قلةً من الشبان، دون أن يتحوّل الأمر إلى ظاهرةٍ كما حصل في مرحلة الجيش الحرّ. يقول أحمد (20 عاماً): في السابق، كنت أرتدي بنطال جينز ضيقاً ذا خصرٍ واطئٍ وكنزات BODY، وأضع الجل على رأسي و"أعمل سبايكي"، إلى حين ظهر الجيش الحرّ فبدأتُ ورفاقي بارتداء "اليشمر" أو "الشماخ" والبدلة العسكرية المموّهة وحمل السلاح أثناء التسوّق أو التجوال. وبمجيء جبهة النصرة أصبحنا نرتدي أقنعةً وعصبات رأس سوداء كتب عليها باللون الأبيض لا إلـه إلا الله. وبعد سيطرة "الدولة" على المدينة ظهر الزيّ الأفغاني بألوانه الثلاثة، الرماديّ والبنيّ والأسود، فقمت بارتدائه. لكن التنظيم قام بمصادرة الأسلحة ومعاقبة كلّ من يقتنيها، حتى أضحى السلاح حكراً عليهم وعلى نسائهم. وعند سؤاله عن سبب ارتدائه الملابس الأفغانية، أجاب أحمد ضاحكاً: من باب التباهي والتفاخر ربما! وبذلك، لا يعكس ارتداء هذا الزيّ قناعةً بأفكار التنظيم بالضرورة، بقدر ما يمثل إحدى تقليعات الموضة الرائجة التي تستقطب الباحثين عن التميّز الشكليّ، وصرعةً من صرعات التشبّه بالسلطة.

المرأة واللباس الشرعيّ

في حين يرتدي بعض الشبّان اللباس الأفغانيّ بشكلٍ طوعيٍّ؛ يكاد فرض "اللباس الشرعيّ" على النساء أن يكون أبرز المظاهر التي يحرص تنظيم الدولة على تطبيقها بصرامة. تقول الممرّضة أم ليث (30 عاماً): كنا -محجباتٍ وغير محجبات- نرتدي أحدث الأزياء الرائجة، ونواكب الموضة، حتى فرضت جبهة النصرة علينا الحجاب والعباءة. وبعد سيطرة تنظيم الدولة فُرض ارتداء اللباس الشرعيّ، وهو عباءةٌ سوداء عريضةٌ خاليةٌ من التطريز أو الألوان، ودرعٌ يوضَع على الرأس يغطّي الأكتاف والصدر واليدين، وهو أقصر بقليلٍ من العباءة، ونقابٌ يغطّي العينين، وكفوفٌ وجوارب سوداء. وفي حال صادفت دورية الحسبة امرأةً مخالفةً في السوق فقد تضربها بالسوط أو بما يسمّى "العضّاضة"، وهي عصاً مشحونةٌ بالكهرباء في رأسها فكّان أشبه بأسنان الإنسان. بالإضافة إلى دفع غرامةٍ تتراوح بين 3000 إلى 5000 ليرةٍ، ومصادرة لباس المرأة القديم وحرقه، ثم إلزامها بشراء اللباس الشرعيّ الكامل منهم. علماً أنّ هذا اللباس لا يتناسب وطبيعة عملي كممرّضة: "شلون أعلّق سيروم لمريض، أو أعاون الأطباء في غرفة العمليات الجراحية، وأنا لابسة عباية ودرع ونقاب؟ مو معقولة!". وتقول منى، وهي طالبة هندسة بتروكيمياء: "الوضع ما عاد ينطاق. من أسّع قام أفكر شلون أريد ألبس عباية ودرع ونقاب وكفوف وجرابات ثخينة بعزّ الصيف! هاللباس خنق المجتمع خنق".

عصر الخياطين الذهبيّ

يقول الخياط أبو أمجد: قبل الثورة، وفي بدايتها، كنت أشكو قلة العمل. أما الآن فقد اضطررت إلى توسيع محلّي، وتحويله إلى مشغلٍ، وزيادة عدد العاملين فيه، نتيجة كثرة الطلب. رغم أن عملي اقتصر على خياطة العبي والدروع واللباس الأفغانيّ فقط، بأسعارٍ متراوحةٍ بين 1000 و1500 ليرة، تبعاً لنوعية القماش المختار من قبل الزبائن. كما بدأتُ بخياطة وبيع العبي والدروع، بسعر الجملة، لبعض المحال التجارية، فضلاً عن مركز الحسبة، الذي يقوم بإلزام النساء المخالفات بشراء اللباس. وتجدر الإشارة إلى أنّ الحصول على اللباس الأفغانيّ صار يتطلب انتظار الزبون لمدّةٍ قد تصل إلى أسبوعين.

يبدي الكثير من سكان المدينة ازدراءهم واستنكارهم لهذه الظاهرة التي يصفها أحدهم بأنها تجذب صغار السنّ والجهلة فقط. بينما يقول وائل، أستاذ اللغة العربية: "أعتقد أنّ الكثيرين منّا يعشقون التقليد السلبيّ الأعمى. فالعديد من شباب مدينتي يرتدون تلك الأزياء من باب التقليد والتشبّه. إنه لأمرٌ يثير حيرتي. فقد أصبحت أرى أشكالاً وموديلاتٍ غريبةً لم أرها في حياتي".

في أراضي داعش، مجسّماتٌ بلا رؤوسٍ تعرض الزيّ الأفغانيّ لكلّ الأعمار

مشاهد من أبو حمام تحت الاحتلال

يطلق عناصر داعش النار على الأبقار الهائمة على وجوهها وعلى الدجاج

مالك موسى

"ببيت بأبو حمام، كان بي جثة متفسخة. فتّشها عنصر داعش وطلّع الهوية. قرا منها الاسم وكان فيصل. رماها وصار يدعسها برجله ويقول: لا تواخذني فيصل، ريحتك طالعة"!

هذه واحدةٌ من الصور القليلة التي ينقلها شهودٌ من مدينة أبو حمام، إحدى البلدات الثلاث التي يسكنها أبناء عشيرة الشعيطات في ريف دير الزور الشرقيّ. وهي البلدة التي دفعت الفاتورة الأكبر لتوحّش مقاتلي داعش. وإلى اليوم، وبعد أكثر من ستة أشهر على النزوح القسريّ لسكان أبو حمام، يرفض قادة داعش عودة المهجّرين إلى بيوتهم. وإلى اليوم كذلك يتعذّر تحديدٌ دقيقٌ لأعداد وأسماء الضحايا من المدنيين الذين أعدموا داخل البلدة أو خارجها. لكن الشهادات المتسرّبة من هناك تتحدّث عن إمكانية العثور على جثثٍ في البيوت والشوارع والسواقي ومجاري الصرف الصحيّ، وفي كلّ مكانٍ داخل المدينة. ويبدو، بحسب هذه الشهادات، أن عناصر داعش لم يبذلوا جهوداً منظّمةً لدفنها. يقول رجلٌ طلب إغفال التعريف به، أو ذكر الكيفية التي دخل فيها إلى أبو حمام برفقة عناصر داعش: "من شبّاك غرفة عالشارع، شفتو ولد صغير حاشر حاله بين خزانة والحايط. كان متغبّي على ما يبدو لفترة طويلة، وكان متكوّر على حاله. وكان ميّت وجسمه متفسّخ". حتى وقتٍ قريب، يضيف الشاهد: "كان خندق الري مليانٍ بالجثث".

قلةٌ من البيوت -التي يزيد عددها بالأصل عن الأربعة الآلاف، بحسب تقديرات سكانٍ من أبو حمام- حافظت على محتوياتها وسلمت من النهب. إذ اعتبرت جميع الممتلكات بأشكالها المختلفة، من محتويات البيوت إلى المواشي والآليات والموادّ والبضائع المخزنة في المحلات والمستودعات، غنيمة حربٍ، نقلت أجزاءٌ منها إلى مواقع وإلى مدنٍ مختلفة، وبقيت أجزاءٌ أخرى في مكانها عرضةً لعبث وتسلية الحرّاس من عناصر داعش. فيمكن أن تشاهد كؤوساً وأواني ملقاةً في عرض الطريق، بعد استعمالها من قبل هؤلاء الحرّاس لمرّةٍ واحدة. ويمكن أن تخرج أجزاءٌ من غرف النوم إلى الشارع. ويمكن اليوم لأيّ عنصرٍ في داعش، يريد تأثيث منزله، أن يشتري بطاقةً خاصّةً بمبلغ 500 دولار، ليحمل ما يشاء من "غنائم الأثاث المنزليّ" المخزّنة في مواقع عدّةٍ تحت سيطرة التنظيم، يأتي حقل العمر النفطيّ في مقدّمتها.

سلب أبناء عشيرة "الشعيطات" بعد اعتقالهم

ورغم ما نال الثروة الحيوانية في أبو حمام من سرقةٍ منظّمة، وقعت بتغطيةٍ من فتوى أطلقها شرعيو داعش بإباحة "أموال المرتدّين" من سكان هذه المدينة ذات الطابع الريفيّ، ما تزال مئاتٌ من رؤوس البقر هائمةً على وجوهها في الحقول والأراضي الزراعية القريبة. ونظراً لتفلّتها الطويل خارج حظائرها، بعيداً عن أيّ تدخلٍ بشريٍّ للعناية بها، أصيبت هذه الحيوانات الأليفة بنوعٍ من التوحش يُصعّب قيادها أو الاقتراب منها، مما خلق تسليةً إضافيةً لعناصر داعش، سواءً منهم الحرّاس المقيمين أم الزوار الباحثين عن التمتع بإطلاق النار على أرجل هذه الأبقار لتسهيل الإمساك بها قبل ذبحها. أما الدجاج، الذي ابتعد عن صفته كدواجن منصاعةٍ لمربّيها، واقترب من صفاته الأصلية كطيورٍ لا تكفّ عن رفرفة أجنحتها من شجرةٍ إلى أخرى دون أن تنزل إلى الأرض؛ فقد شكّل هو الآخر هدفاً سهلاً لنيران داعش.

قبل الثورة، كان عدد سكان أبو حمام يقارب 40 ألف نسمة. نقص هذا العدد ألفاً أو ألفين بعد مذابح الصيف الفائت. وقبل الثورة أيضاً كان السكان حريصين على بناء منازل فخمةٍ، مستفيدين من بحبوحةٍ كانت توفّرها تحويلات أقاربهم العاملين في الخليج. سيفوق عدد السكان العدد السابق عبر المواليد الجدد، وسترمّم الحجارة في البيوت، "لكن الأهوال التي مرّوا بها لن تُمحى من الأنفس لسنواتٍ طويلة"، بحسب ما يقول كبار السنّ النازحون في قرىً بعيدةٍ وقريبةٍ بانتظار أن يُسمح لهم بالعودة، وبأيّة شروطٍ ستفرضها داعش، كما فعلت في البلدتين الشقيقتين الكشكية وغرانيج.

في البادية، أو في القرى المجاورة، تُكتشف، بين حينٍ وآخر، قبورٌ جماعيةٌ أو فرديةٌ دُفن فيها، على عجلٍ، قتلى من أبناء أبو حمام. تحمل أخبار هذه المقابر مزيداً من القهر ومن الألم للأهل، إذ تنكأ الجراح في كلا الحالتين؛ إن كان الابن أو الأخ أو الأب المفقود بين من يُعثر عليهم في المقابر، أو أن يبقى مجهول المصير.

شرعيّو داعش: لن نرفع الحصار عن المرتدّين سكان الجورة والقصور وهرابش على حافة الجوع

أحمد الصالح

منذ أسبوعين أكمل تنظيم "الدولة الإسلامية" حصاره على الأجزاء الواقعة تحت سيطرة النظام من مدينة دير الزور، بإغلاق جميع المعابر ومنع حركة تنقّل الأفراد أو البضائع، مما ينذر بنتائج كارثيةٍ على المدنيين القاطنين أو العالقين في هذه الأجزاء.

طبّقت داعش حصارها على الأحياء الواقعة تحت سيطرة النظام بشكلٍ تدريجيٍّ. اذ بدأت أولاً بقطع الكابل الضوئيّ على طريق دير الزور – دمشق، مما أدّى إلى توقف خدمات الاتصالات بأشكالها المختلفة. وعملت على تقييد حركة الدخول إلى المدينة، قبل أن تمنعها منذ أكثر من شهر، مع السماح بالخروج، إلى أن منعته قبل أسبوعين. ومنعت كذلك الكميات القليلة من المواد الغذائية التي كانت تسمح بعبورها إلى تلك الأحياء، لترتفع الأسعار في الأجزاء المحاصرة إلى مستوياتٍ قياسيةٍ يستحيل معها أن تحظى معظم العائلات بوجبةٍ واحدةٍ في اليوم.

بحسب إحصاءات الهلال الأحمر، يبلغ عدد العوائل النازحة إلى الأحياء المحاصرة اليوم 62 ألف عائلة، يُضافون إلى المقيمين الأصليين الذين يقدّر عددهم بأكثر من 100 ألف نسمة. ونتيجة الحصار وتآكل مخزونات الطحين توقفت جميع الأفران عن العمل، باستثناء فرنٍ واحد. فيما فُقدت بعض المواد الأساسية نهائياً من الأسواق، وبدت موادّ أخرى في طريقها إلى ذلك.

ولم تنجح مناشدات الاستعطاف ودعوات التخفيف من الحصار، أو السماح بالخروج لمن يريد من السكان على الأقلّ، في ثني قادة التنظيم عن قرارهم. وتبدو الأسباب التي يعرضها المقرّبون من داعش للحصار غير مقنعةٍ لأحدٍ، سوى من يصدّق أن "ثلاثمئة ألفٍ من المحاصرين هناك هم مرتدّون عن الإسلام"، كما يصنّفهم شرعيو داعش الذين يؤكّدون، وبشكلٍ قطعيٍّ، أنهم لن يفكّوا الحصار. ويتساءل الناس في دير الزور عن المنافع التي سيجنيها التنظيم من وراء ذلك، أو عن الأضرار التي ستلحق بقوّات الأسد وبمجموعات تابعيه فيما يسمى بـ"الدفاع الوطنيّ" وغيرهم، ممن يحرص النظام، وعبر طائرات الشحن، على تأمين احتياجاتهم كلها، دون اهتمام يذكر بأحوال المدنيين الذين "سيدفعون الثمن؛ ثمن رعونة داعشٍ ونذالة النظام"، بحسب ما يقول مقاتلٌ سابقٌ في الجيش الحرّ، وهم "لا حول لهم ولا قوّة" بحسب المقاتل، بين "عدوّين متوحّشين". ويؤكد طالبٌ جامعيٌّ سابقٌ ترزح عائلته تحت الحصار أن الخيارات المتاحة أمام السكان، وخاصّةً المعارضين منهم، مؤلمةٌ حقاً: "يصير الواحد يتمنّى يقدر النظام يفتح الطريق أو ينتصر بمعركة!". ويصف الطالب الواقع بأنه "غريب جداً؛ نكره النظام ونتمناه يسقط، بس اليوم وبكرة، وعشان تنفتح المعابر وما تموت الناس من الجوع، نتمناه ينتصر انتصار صغير وعلى قدّ سيارة خضرة وسيارة طحين".

تتحدّث شائعات الجورة والقصور عن مفاوضاتٍ بين داعش والنظام، تطلب فيها داعش مبالغ كبيرةً مقابل التخفيف من الحصار. وتقول شائعاتٌ أخرى إن النظام سينشئ محطة اتصالاتٍ فضائيةٍ في مدينة تدمر الخاضعة لسلطته ،على بعد 200 كم من دير الزور، لتكون بديلاً عن الكابل الضوئيّ الذي قطعته داعش. وتذهب حكايات المحاصرين إلى اكتشاف طرق تهريب ورشاوى تُدفع لحواجز داعش مقابل غضّ النظر. ومن جانبهم، ينشط تابعو النظام المباشرون في إثارة مشاعر الكراهية نحو أبناء الريف المحيط، إذ يقول جواسيس المخابرات إن "كلّ اللي على حواجز داعش من ولاد الريف، ونحن وأنتم محاصرين هون". ووصلت إلى الدوائر الحكومية تعميماتٌ بطلب الموظفين تحت سنٍّ محدّدةٍ للاحتياط، بذريعة حشد العدد الكافي من المقاتلين لفتح طريق دير الزور – دمشق.

وفي المحيط الواسع للأجزاء المحاصرة، والذي يشكّل معظم محافظة دير الزور، تبرز مشكلة الموظفين الحكوميين الممنوعين من دخول الجورة والقصور لاستلام رواتبهم. ويقدّر عدد هؤلاء بأكثر من 15 ألف موظف، يشكّل الراتب الشهري الدخل الرئيسيّ لمعظمهم. مما أسهم في حرمان أسواق الريف من كتلةٍ ماليةٍ ضخمةٍ، كانت أحد الروافد الأساسية لهذه الأسواق.

من صفحة "ملتيميديا الجورة و القصور" على الفيسبوك

الهلال الأحمر يوقف تزويد محطّات المياه بـ"الكلور" و800 ألف شخصٍ في دير الزور لن يجدوا مياهاً صالحةً للشرب

خليل عبد الله

أُبلغ موظفو محطّات تصفية مياه الشرب، في الأجزاء الخارجة عن سيطرة النظام في محافظة دير الزور، عبر نظرائهم في مؤسسة المياه، أن منظمة الهلال الأحمر العربيّ السوريّ أوقفت تزويد محطّات الريف بمادة هيبوكلوريت الصوديوم، المعروفة بالكلور السائل، واللازمة لتعقيم المياه.

وسيؤدّي هذا إلى توقّف هذه المحطّات تباعاً، خلال أيام إلى أسابيع، بعد نفاد مخزونها من "الكلور"، مما يحرم أكثر من 800 ألف نسمة، هم سكان ريف دير الزور، من المياه الصالحة للشرب، وينذر بكارثة صحية وشيكة في المحافظة التي تعاني أصلاً من كثرة الأوبئة والأمراض.

ويفسّر بعض موظّفي قطّاع مياه الشرب سلوك الهلال الأحمر بالضغوط التي يمارسها النظام على هذه المنظمة، وتحكّمه في عملها إلى حدٍّ كبير. إذ جاء القرار كردّ فعل انتقاميّ على حصار تنظيم "الدولة الإسلامية" داعش لأجزاء مدينة دير الزور الخاضعة لسيطرة نظام الأسد، ووسيلةً لمساومة التنظيم على ذلك.

وبحسب تقرير سابق نشرته "عين المدينة" عن مياه الشرب في محافظة دير الزور، يبلغ الاحتياج الكليّ لمحطات تصفية مياه الشرب في ريف دير الزور 80 ألف ليتر شهرياً من "الكلور" في الحدّ الأدنى، وبتطبيق برامج تقنين، توزّع على 100 محطّة بحجوم وغزارات إنتاج مختلفة. وهي كميةٌ كبيرةٌ جداً، سيعجزُ تنظيم "الدولة" عن تأمينها، بحسب ما يقول ناشطٌ سابقٌ في الهلال الأحمر.

وستعجز عن تأمينها كذلك معظم المنظمات الإنسانية، أو ما تبقى منها في دير الزور، بإمكاناتها وطرائق عملها الحالية. ويقترح مختصّون في تصفية المياه خطّة طوارئ تبدأ بمخاطبة الهيئات والمنظمات الإنسانية الدولية لحثّها على التدخل، وتعويض الكلور السائل بالكلور الجافّ المعروف بـ"البودرة"، وهي طريقةٌ بديلةٌ يمكن أن تحقق المستويات المطلوبة من جودة المياه.

ومن جانبهم، يتنصّل مسؤولو "مكاتب خدمات المسلمين" في داعش من المسؤولية في هذا الخصوص. ويحضّ المقرّبون منهم بعض ناشطي المنظمات على السعي في تأمين هذه المادة، بالرغم من القرارات الأخيرة بمنع هذه المنظمات عن العمل. ويشير هؤلاء إلى أن التنظيم سيخفّف من القيود التي يفرضها على أية منظمةٍ تزوّد محطّات الشرب بمادة الكلور.

قبل الثورة، كان معمل الورق في دير الزور ينتج، في أحد أجزائه، مادة الكلور، ويزوّد بها معظم محطّات مياه الشرب في محافظات المنطقتين الشرقية والشمالية. تعرّض المعمل لحريق هائل بفعل المعارك في محيطه، صيف عام 2012. ومنذ ذلك الوقت عملت منظمة الهلال الأحمر على استجرار هذه المادة من الأردن، ثم توزيعها على المحافظات. ومن جانبه يزوّد نظام الأسد محطات التصفية في أجزاء مدينة دير الزور الخاضعة لسيطرته 7- محطات- بمادة الكلور الجافّ، عن طريق نقلها جوّاً إلى مطار دير الزور العسكريّ.

داعش توزع مناهجها التعليميّة

هند عبد اللطيف

بدأ ديوان التعليم، وهو الجهاز المختصّ في تنظيم "الدولة الإسلامية" داعش، بتوزيع كتب المنهاج التعليميّ الجديد. وشدّد التنظيم على ضرورة تقيّد المعلمين الكامل بهذا المنهاج، متوعّداً المخالفين بعقوباتٍ صارمة.

ويذكر أن المواد التعويضيّة التي فرضها التنظيم بديلاً عن المواد المحذوفة اشتقت بكاملها من علوم الدين الإسلاميّ، ووفق تصوّر داعش. وحُذفت من المواد المتبقية في المنهاج الجديد جميع الصور التي تخالف فقه داعش وأحكامها. كما حُذفت من مناهج الرياضيات الأمثلة التوضيحية التي تشير إلى مفاهيم "الفوائد والمضاعفات الربوية". وحُذفت من مناهج اللغة العربية كلّ الأمثلة السابقة، واستبدلت بها آياتٌ من القرآن الكريم. وفي مادتيّ الفيزياء والكيمياء نُبّه المدرّسون إلى أن يذكّروا طلابهم بشكلٍ دائم أن قوانين هذين العلمين هي قوانينٌ إلهيةٌ، وأن تُختم جميع التجارب العملية بعبارة "بإذن الله"، تخفيفاً من الوثوق بحتمية النتائج التي تتوصل إليها هذه التجارب.

وحدّدت "مديرية المناهج" بديوان التعليم، مبلغ 2000 ل.س ثمناً لكتب منهاج الصفّ الواحد، وفرضت على جميع المعلمين والطلاب شراءها، مما أثار استياءً واسعاً في صفوف المعلمين وذوي الطلاب الملتحقين بمدارس داعش. في حين تذرّع مسؤولو الديوان بارتفاع تكاليف الطباعة والنقل من "ولاية الموصل"، حيث طبعت الكتب، إلى "ولاية الخير".

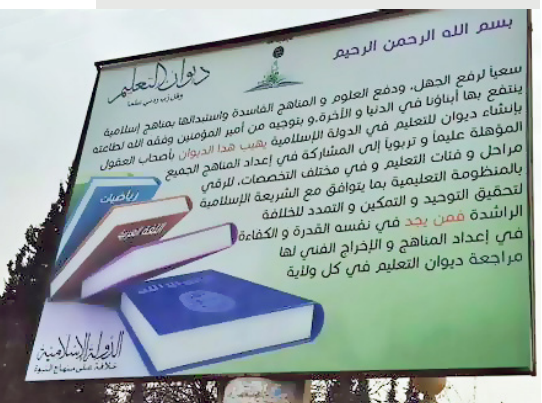

داعش ترفع أسعار الخبز وأرباحها من الطحين 58 ألف دولارٍ يومياً في دير الزور

منذر إبراهيم

لم تنقص كميّات القمح في مخازن المؤسّسة العامة للحبوب (الصوامع) في محافظة دير الزور عن مئتي ألف طنٍّ، خلال السنوات التي تسبق الثورة. ورغم توقف تغذية هذه المخازن بمشتريات المؤسّسة منذ صيف 2012، بسبب خروج معظم الصوامع عن سيطرة النظام، ورغم الاستجرار بأشكاله وكمياته المختلفة خلال السنتين التاليتين؛ يقدّر عاملون سابقون في المؤسّسة كمية القمح التي آلت أخيراً إلى تنظيم "الدولة الإسلامية" داعش بأكثر من خمسين ألف طنٍّ، تزيد قيمتها على 12.5 مليون دولارٍ وفق أسعار السوق المحلية (سعر كيلو القمح 0.2 دولار تقريباً في أسواق دير الزور).

تسيطر داعش على معظم إنتاج الطحين في المحافظة. وتقع تحت سيطرتها مجموعةٌ من المطاحن، على رأسها مطحنة الفرات الحكومية المتوقفة عن العمل نتيجة الأضرار التي لحقت بخطوط إنتاجها. واستولى التنظيم كذلك على المطاحن غير العائدة لأفرادٍ، مثل مطحنة جبهة النصرة ومطحنتي المجلس المحليّ في كلٍّ من الميادين والبوكمال. ولا يُعلم بالضبط مصير هذه المطاحن وجهوزيتها الحالية للعمل، إلا أن التنظيم يعتمد في إنتاجه للطحين على المطاحن الخاصّة التي يبلغ عددها 30، تتراوح طاقاتها الإنتاجية بين 5 إلى 15 طنٍّ يومياً. إذ يتعاقد التنظيم مع بعض هذه المطاحن لإنتاج ما يزيد على 200 طنٍّ من الدقيق يومياً، بقيمةٍ إجماليةٍ تزيد على 58 ألف دولارٍ، وفق سعر 0.29 دولاراً للكغ الواحد من الدقيق في الأسواق المحلية.

يذهب جزءٌ من هذه الكمية إلى الأفران المملوكة للتنظيم، التي تحقّق بدورها هامش ربحٍ إضافيٍّ. وجاءت خطوة التنظيم الأخيرة، برفع سعر ربطة الخبز من 100 إلى 125 ليرةً، لترفع من هذا الهامش إلى حدٍّ كبير. وبحسب أقلّ التقديرات التي يعرضها ناشطون من المحافظة، تنتج الأفران العامة التي استولى عليها التنظيم أكثر من 20 ألف ربطة خبزٍ في اليوم، هي أقلّ من خُمس الطاقة الإنتاجية لهذه الأفران قبل الثورة. وتسهم الزيادة الأخيرة في أسعار الخبز في مضاعفة المعاناة اليومية للسكان، وخاصةً مع ارتفاع أسعار السلع الأساسية الأخرى، مما يجعل تأمين معيشة عائلةٍ يبلغ دخلها الشهريّ 50 ألف ليرةٍ أمراً شاقاً، علماً أن هذا الدخل يعدّ عالياً بالمقارنة مع متوسّط الدخل الشهريّ العامّ. ويفسّر البعض رفع أسعار الخبز بتناقص كميات القمح المخزّنة في مستودعات التنظيم، بسبب الاستجرار اليوميّ الكبير.

ورغم إنشائه لمكتب الحبوب التابع لديوان الزراعة، لا يسعى تنظيم "الدولة الإسلامية"، بحسب سلوكه خلال موسم الحبوب في العام الفائت، إلى بناء جهازٍ خاصٍّ بهذا القطاع الحيويّ، يناظر المؤسّسة العامة للحبوب التي كانت تشتري محاصيل القمح وتتولى تخزينها وتوريدها إلى المطاحن. كما لا يسعى التنظيم إلى تقديم أيّ دعم لمادّة الخبز، بل يأخذ دور المستثمر الكبير الذي ينافس مستثمرين صغاراً يعجزون عن منافسته لأنه لا ينفق أية تكاليف سوى أجور الطحن ورواتب عمّال المخابز، لتكون معظم مبيعاته للخبز أو للطحين أرباحاً. ونتيجة امتناع التنظيم عن شراء القمح من الفلاحين، سيتعرّض المخزون الواقع في حوزته -في دير الزور- إلى النفاد خلال مدّةٍ لا تزيد على العام.

خلال الأعوام السابقة، شكل الخبز واحداً من القضايا الرئيسية في حياة سكان المناطق المحرّرة في المحافظة، وكان محلّ اختبارٍ لعمل المجالس المحلية الناشئة بُعيد التحرير. وفيما عدا مجلس البوكمال المحليّ، لم ينجح أيّ مجلسٍ آخر في وضع يده على صوامع الحبوب التي وقعت تحت سيطرة قوًى عسكريةٍ مختلفةٍ بحسب تموضعها الجغرافي. وكان لجبهة النصرة النصيب الأبرز من "غنائم القمح"، باستيلائها على معظم صوامع التخزين، وخاصّةً في الموقع الرئيسيّ على بعد 10 كم شمال مدينة دير الزور، إضافةً إلى استيلائها على مطحنة الفرات الحكومية، التي تزيد طاقتها الإنتاجية على 400 طنٍّ من القمح يومياً، والتي استمرّت بالعمل بشكلٍ مضطربٍ نتيجة تفاهماتٍ خاصّةٍ مع النظام في ذلك الوقت، ما أتاح للجبهة التحكّم في الخبز والطحين. وبعد سيطرته على المحافظة، استأنف تنظيم "الدولة" هذا السلوك تحت دوافع عدّةٍ أهمّها الربح وفرض السيطرة، دون اعتبارٍ لحاجات السكان وإمكاناتهم المادية.

تجّار الرقة يهربون من الكساد، وازدهار سوق الأثاث والأدوات المستعملة

مرفت أمين

"ليست هذه الشوارع التي ألفناها.. لقد عادت الرقة عقوداً إلى الوراء"، بهذه الكلمات يصف حسن، أحد أبناء الرقة، حال مدينته التي كانت ذات أسواقٍ نشطةٍ نتيجة استقبالها لأعدادٍ كبيرةٍ من النازحين من محافظاتٍ مختلفة، إلا أن سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" على المدينة ألحقت خسائر فادحةً باقتصادها. فلم تعد الحركة كما كانت في أسواقٍ مثل القوتلي و23 شباط، التي فقدت الكثير من زبائنها، بالتزامن مع تغيّرٍ كبيرٍ في السلع والموادّ المعروضة.

أسبابٌ عدّةٌ دفعت السكّان إلى الابتعاد عن الأسواق، وأهمها انهيار القدرة الشرائية نتيجة تآكل قيمة الليرة السورية، لترتفع الأسعار إلى الحدّ الذي يفوق إمكانات معظم السكان. وعلى اعتبار أن رقم 500 ل.س -2 دولار تقريباً- هو متوسّط الدخل اليوميّ للعامل أو للموظف، لا يمكن لغالبية العائلات تحقيق الحدّ الأدنى من احتياجاتها المعيشية. فقد وصل سعر ربطة الخبز، التي تحوي 20 رغيفاً، إلى 200 ل.س في الرقة. وتجاوز سعر ليتر المازوت، بجودةٍ تحت متوسطة، 100 ليرة. وارتفع سعر ليتر البنزين المكرّر إلى 170 ليرة. وتباع أسطوانة الغاز المنزليّ بحوالي 5000 ليرة، وليتر وقود الطبّاخات القديمة (الكاز) بـ85 ليرة.

الكساد يضرب بعض القطاعات

على بعد أمتارٍ من مدرسة بلقيس يقع سوق "السبورات" أو (ساحة شمّاس)، أحد أهم أسواق الثياب وأشهرها في الرقة. يقول أبو حسن، أحد أصحاب المحلات في السوق: "أغلب أصحاب المحلات أغلقوها. ومن بقي يعاني كساد البضاعة". كان هذا السوق أحد واجهات الموضة في الرقة. وكانت محالّه من أغلى المحلات، بيعاً وإيجاراً، بسبب حركة الزبائن الكثيفة. لكن الحالّ تغير، إذ لم تبقَ فيه سوى بضع محلاتٍ تبيع "العباءات الإسلامية والكلابيات، بينما هاجرت السبورات مبتعدةً عن ليل الرعب الداعشيّ"، حسب أبو حسن الذي يضيف: "لم يبقَ لنا خبزٌ في هذه البلاد. كلّ شيءٍ هنا يرجع نحو الوراء، ولا ملامح لتحسّن الوضع". فيما تشهد العديد من المهن القديمة انتعاشاً بعد أن كادت تنقرض، ومنها الخياطة التي عاد الأهالي إلى الاعتماد عليها في ظلّ غلاء أسعار الملابس الجاهزة.

تباينٌ في حركة الأسواق

يقول أبو خلف، صاحب أحد المحلات في شارع 23 شباط: "السوق واقف، والحركة قليلة، وأنواع الزبائن اختلفت". تقييمٌ يجمع عليه كثيرٌ من التجّار الذين آثر العديد منهم تصفية أعماله أو تجميدها والرحيل. يضيف أبو خلف مبرّراً أسباب ارتفاع الأسعار: "هناك مصاريف كثيرةٌ، إلى جانب التكاليف الأساسية في ثمن المواد وأجور الشحن وأتعاب العمال". وبعكس الركود الذي تعاني منه تجارة الملابس الجاهزة التقليدية، يزداد الطلب على الملابس والإكسسوارات العسكرية التي أخذت حصّةً لا يستهان بها من السوق، فقد تغيّرت البيئة لتخلق نمط "موضةٍ" جديدٍ يجاري الهيئة التي يتميّز بها مقاتلو التنظيم.

ورغم دخول ظاهرة النزوح عامها الرابع، ما زالت أسواق الأدوات المنزلية المستعملة تسجّل نشاطاً لافتاً، إذ لا يكاد يخلو شارعٌ في الرقة من محلٍّ لبيع هذه الأدوات. ترى أم رامي، وهي نازحةٌ من مدينة دير الزور استقرّ بها المقام في حيّ الدرعية، أن مثل هذه الأسواق انعكست بشكلٍ إيجابيٍّ على الفقراء والنازحين: "أسواق الأدوات المستعملة وفّرت لنا مواد جيدة وبأسعار مقبولة". مثل هذه السيدة، التي خرجت مع عائلتها دون أن تحمل شيئاً من أثاث منزلها أو ثيابها، استطاعت، رغم ظروفها الصعبة، أن تشتري غسالةً وبرّاداً وتلفازاً ومستلزماتٍ أخرى لتأثيث منزل النزوح.

يُرجع بعض الناشطين وفرة المعروض من قطع الأثاث إلى حركة النزوح والتنقل من وإلى الرقة، وخاصّةً بعد وقوعها تحت سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية"، وكذلك تكرار الهجمات الجوّية لطائرات الأسد وطائرات التحالف الدوليّ، على الأحياء السكنية بالنسبة للأولى، وعلى أهدافٍ منتقاةٍ للثانية، في جوٍّ من الرعب المتواصل المنبعث من سماء المدينة، مما يجبر البعض على بيع كلّ محتويات المنزل، أو التخلص منها بأيّ شكلٍ، قبل النزوح.

الجريمة والعقاب عند داعش

قانونٌ مزاجيٌّ وعقوباتٌ ارتجالية

علي خطاب

لا يخلو تنظيم الدولة من "تنظيم" في أجهزته، وإن كان مشوباً بالكثير من المزاجية والمغالاة والمزايدة. وذلك لما يتمتّع به التنظيم -قياساً بالتنظيمات الأخرى على الأرض- من مركزيةٍ في القرارات، وإمكانياتٍ ماديةٍ هائلةٍ، وتراتبيةٍ صارمةٍ يخضع لها عناصره قبل الأهالي الذين يعيشون في مناطق سيطرته. ورغم تداخل اختصاصات تلك الأجهزة، والتعتيم على نظمها، وعدم وضوح قوانينها وعدم نشرها، فإن المراقب يستطيع تمييز الكثير مما يفرضه التنظيم، وما يلاحق عليه من مخالفات، والعقوبات التي تقاطعت في شهادات الكثيرين ممن خاضوا تجربة الولوج إلى أحد تلك الأجهزة العقابية.

يلاحظ أحد محاميّي مدينة دير الزور أن التنظيم يعتمد أسلوب الأجهزة المندمجة، مما يسرّع بتّ وتنفيذ الأحكام. إذ تختلط الأجهزة القضائية بالتنفيذية وأحياناً التشريعية، وهو ما جعل أحكامها عرضةً للأهواء والارتجال، لعدم رسوخ تلك الأجهزة، وعملها في الظلّ، وجهل العاملين فيها بالعمل المؤسّساتي. لكنه، في الفترة الأخيرة، صار يعتمد على ما تراكم لديه من عقوباتٍ، كوّنت نوعاً من الأحكام العرفية، يلجأ إليها شرعيو التنظيم في القضايا التي يتولونها. كما لاحظ المحامي أن تلك الأجهزة تتقاسم العمل بحسب درجة التهمة التي تنظر فيها؛ فهناك تهمٌ من الدرجة الأولى، وتهمٌ من الدرجة الثانية، وتهمٌ من الدرجة الثالثة، تتوزّع بين الحسبة والشرطة والأمن العام. ويضمّ كلٌّ من هذه الأجهزة عناصر للاعتقال ولتنفيذ الحكم، وشرعياً (قاضياً) لإصدار ذلك الحكم، وسجناً خاصّاً. ويرى أحد الناشطين أن الحسبة تتولى القوانين الشخصية، والشرطة تتولى القوانين المجتمعية، والأمن يتولى القوانين "السيادية".

الحسبة

استمدّ التنظيم تسمية الحسبة من التاريخ العربيّ الإسلاميّ. يقول المحامي: "في الماضي، كانت الحسبة تعمل عمل البلدية، في متابعة أمور الأسواق وتنظيمها، وإزالة مخالفات المحلات، ومنح أصحاب المهن -بعد الفحص- الرخص اللازمة لمزاولة المهنة. أما حسبة التنظيم (وهي تقوم مقام محكمة صلح الجزاء) فتلاحق مخالفاتٍ من قبيل تعاطي التبغ وبيعه؛ عدم دخول المسجد وقت الصلاة؛ طريقة قصّ الشعر؛ حلق الذقن؛ لباس المرأة (والرجل أحياناً)؛ ممارسة إحدى الشعائر بطريقةٍ مغايرة لطرقهم ...".

وقد أصبحت هذه المخالفات، وغيرها، معروفةً للأهالي، وعقوباتها محدّدةً بما يشبه العرف. فالشخص الذي تضبطه الحسبة وهو يدخّن، أو معه علبة سجائر بعد التفتيش، يعاقب بالحبس من يوم حتى ثلاثة أيام. أما بائع السجائر فيُحبس من ثلاثة أيام حتى أسبوعين، ويُغرّم بألف ليرةٍ عن كلّ "كروز" سجائر (عشر علب). وتُمنح المخالِفة للباس التنظيم عباءةً جديدةً، ويُصادر لباسها المخالف، وتُغرّم بثلاثة آلاف ليرةٍ، باحتجاز أحد أقاربها حتى الدفع. والغرامات المالية قابلةٌ للتفاوض، بينما يُجلد السجين في حال تكرار المخالفة.

لكن تفتيش المارّة واعتقالهم يخضع لاعتباراتٍ أخرى غير تلك القوانين؛ "يعتقلوني لأني كنت بالجيش الحرّ"، يقول هاني الذي اعتقلته الحسبة أربع مرّات. "أحياناً يفتشوني ما يليقون عندي دخان فيدوّرون على حجّة تايعتقلوني". "مرّة سألني رئيس الدورية ما هو الناقض الرابع من نواقض الاسلام؟! -بحسب كتيّباتهم- فاعتقلوني لأني ما عرفت". "وأنا بالسجن اعتقلو واحد لأنو شافوه يمسح رقبتو بالوضوء!".

يوظّف التنظيم في جهاز الحسبة عناصر تجوب الشوارع الرئيسية داخل المدينة، في دورياتٍ راجلةٍ أو راكبةٍ على مدار الساعة، تجمع المعتقلين في حافلة (فان)، وتسوقهم إلى المقرّ الذي يضمّ السجن. كما يضمّ الجهاز شرعياً (قاضياً) يتولى التحقيق وإصدار الحكم، دون إبلاغه للمتهم. وفيما عدا الإهانات عند الاعتقال، لا يتعرّض المتهم للضرب إلا في حال اعتراضه على توقيف العناصر له أو على حكم الشرعيّ. "يضربون اللي يعيندهم"، يقول أبو ماهر الذي قضى ثلاثة أيام لديهم بتهمة التدخين. "يضربون بالأخضر الإبراهيمي" (أنبوبٌ بلاستيكيٌ لتمديد المياه). وفي بعض الأحيان يشغّلون السجناء بحفر الخنادق على الجبهات، مما تسبّب بقتل أكثر من سجينٍ بنيران قوّات الأسد. كما يستعملون السجن الانفراديّ، في بعض الحالات.

يعرض تلفاز السجن الإصدارات المرئية للتنظيم. وتُوزّع على السجناء كتيباته لحفظها، وليستظهرونها أمام الشرعيّ. وفي حال الحفظ يخرج السجين قبل انقضاء مدّة حبسه.

الشرطة

ليس لها حضورٌ كثيفٌ في المدينة، رغم أن لها دورياتٍ تجوب الشوارع. عناصرها أغلبهم من القصّر، وشرعيّوها يتولون التحقيق وإصدار الأحكام. ولها سجنٌ خاصٌّ يهتمّ التنظيم بنظافته وطعام نزلائه كشأن السجون الأخرى في المدينة. ولا يكاد جهاز الشرطة يفرض أية قوانين خاصّة في عمله اليوميّ؛ فهو يستقبل البلاغات عن أمورٍ مثل (المشاجرات؛ السرقة؛ النزاعات التجارية والمالية...)، ويقضي فيها كمحكمة الجنح. كما يتدخّل في تنظيم الطوابير ونقل المتهمين من سجنٍ إلى آخر.

يميّز التنظيم جهاز شرطته بتسميته "الشرطة الإسلامية"، لكن نظرة الأهالي إلى عناصر هذا الجهاز لم تتغيّر عما كانت أيام النظام؛ فهم "دراويش"، ليست لهم سطوة الأمنيين ولا حشرية الحسبة. "مثل الشرطة أوّلي، تا تخلص الكونة -المشاجرة- تا يجون"، كما يقول أبو صالح الذي اعتقلوه وهو يحاول "حجز" المتشاجرين. "وياخذون كلّ الموجودين قبل ما يعرفون شكون السالفة". وفي هذه الحالات يستمع الشرعيّ إلى أقوال المعتقلين، ثم يدفع باتجاه الصلح وتبويس الشوارب، بالتهديد. فبمقدوره أن يخترع المخالفات لأيّ شخص، ولكنه يتغاضى عنها مقابل "الرضوة". وكذلك تحبس الشرطة المخلّين بالطوابير والمتجمّعين في الأماكن العامة، لساعاتٍ، دون اتهام. أما في حالات السرقة والمنازعات المالية، فعدا محاولات العناصر ابتزاز المسروقات والأموال المتنازع عليها (بدعوى عائديتها لجهاتٍ معاديةٍ للتنظيم)، فهم يحيلون الأطراف إلى محاكم خارج المدينة، بعد التحقيق المصحوب بالضرب المضاعف، بحسب القضية.

الأمن العامّ

عناصره غير معروفين، لحرصهم على وضع لثام على وجوههم، ويسمَّون بالأمنيين. وقد ميّز العديد من السجناء عناصر سابقةً في جبهة النصرة بينهم. وفي حين تستعمل الحسبة والشرطة الفانات في دورياتهم، يستعمل الأمنيون البيك آب ذا الدفع الرباعيّ. ويرى الأهالي في ذلك تقليداً لأفرع أمن النظام. والملاحظ أن لهم صلاحياتٍ واسعةً، بالإضافة إلى محكمة الجنايات التي يرى المحامي أنهم يقومون بعملها. أما القوانين التي يفرضونها ويلاحقون مخالفاتها فأشهرها (حيازة السلاح؛ العمل في الإعلام؛ التواصل مع المنظمات؛ العمل في الشأن العام خارج التنظيم؛ تبني أفكارٍ تخالف الأفكار التي يروّج لها؛ عدم الحصول على "استتابة" في حالة من كانوا في الفصائل المسلحة...). كما يلاحقون مخالفات عناصر التنظيم (رفض الأوامر؛ الرشوة؛ الاختلاس...).

كلّ من يعيش تحت سلطة التنظيم متّهمٌ في نظر الأمنيين، كخلايا نائمةٍ أو صحواتٍ، حتى يثبت العكس. ويجري الاعتقال بأية قرينةٍ (كالإشاعة؛ الوشاية؛ الشك؛ اضطراب الشخص عند أحد الحواجز؛ الوجود مصادفةً في مكان تنفيذ الاعتقال؛ ذكر أحد المتهمين لأيّ اسم يجعل من صاحبه متهماً...)، وبأية شبهةٍ، كما يصرّح العناصر أنفسهم. ويسوق هؤلاء المتهم إلى أحد مقرّات الأمن معصوب العينين، ويخبرونه أن قضيته (أمن دولة). وبغضّ النظر عن تهمته، فعند وصوله تُجمع يداه إلى رجليه بالقيد، ويُضرب بالأنابيب والكابلات، ثم يزجّ به -بعد إعطائه لباساً خاصّاً- في إحدى الزنازين، وهي إما جماعيةٌ أو رباعيةٌ أو فردية، لمدّةٍ تطول أو تقصر إلى حين الاستجواب. وقد اتفقت روايات الذين خرجوا من هناك على أن الضرب لم يعد ردّة فعلٍ غاضبة، بل صار يتجه نحو التقنين والتنظيم؛ "رفعوني فلقة وخلّوني أهرول بمكاني"، يقول أحد الذين قضوا أسبوعين لديهم، "وأحياناً يضربوني وبعدها ينزّلوني ضغط -تمرين رياضي- والشرعيّ قاعد يقرش بزر". كما أكد ناشطون لهم تجارب اعتقال "أن الضرب أثناء الاستجواب هو لانتزاع الاعترافات، أما خارجه فهو لإنزال الإهانة أو الانتقام أو لإظهار السلطة". يقوم شرعيّو الأمن بمهمّة التحقيق، ويمارسون، قبل الاستجواب، ولأيام عدّة، الضغوط النفسية على المتهم، بتكرار جملٍ موهمةٍ مثل "اعترفوا عليك"، أو "وجدنا محادثات الواتس أب تبعك".

يُستجوب المتهم وهو معصوب العينين، بحضور كاتب المحضر والجلاد. ويُصوّر في نهاية التحقيق من أجل "الفيش". وفي الحالات البسيطة يُعرض المتّهمون، وقد قضوا ما يقارب العشرة أيام، على القاضي، مرّةً كلّ أسبوع، ليطابق بينَ المحضر وأقوال المتهم، ويصدرَ حكمه، الأمر الذي يدعو الشرعيين إلى الخلاف والتنازع على مسمع من السجناء. أما في حالات الإعلاميينَ والناشطين وقادة الكتائب فيُحالون إلى محاكم خارج المدينة (بعد عمليات تعذيب شنيعة) ثم يُلحقون بالدورات الشرعية (تُدرّس فيها منطلقات التنظيم النظرية). أما السياسيّون فمجهولو المصير، لكن الإشاعة تقول إنهم يرحّلون إلى سجن الموصل.

تزور "لجنة فضّ المظالم" السجون دورياً. وتقوم بعمل محكمة التمييز. وإلى جانب التفتيش القضائيّ تنظر في شكاوى السجناء، وإن كانوا قد تعرّضوا للضرب، في نوعٍ من خداع الذات. فالمعترض ليس إلا رافضاً لحكم الإسلام، في نظر كلّ من له علاقةٌ بالتنظيم. كما أن الاعتراض يُدخل صاحبه في دوّامة الإحالات التي تمتدّ لشهورٍ لا لأيام.

قصص زواج السوريات من "مهاجري" داعش

سوزان موسى

أسهمت عدّة عوامل في عشرات حالات زواج سوريات من "مهاجرين" من عناصر تنظيم الدولة في المناطق التي يسيطر عليها. لكن، وبالرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة حول أعداد هذه الحالات؛ فإنه يصعب الحديث عن تحوّلها إلى ظاهرة، نظراً للظروف الاستثنائية التي تحيط بها من جهة، ولبقائها محصورة ضمن فئات اجتماعية معينة، من جهة أخرى.

فتياتٌ قاصراتٌ ومهورٌ عالية

لطالما تلازمت ظروف الفاقة المادية وقلة التعليم مع إقدام الأسر على تزويج بناتها القاصرات في الماضي. أما اليوم، وفي خضمّ الكارثة السورية، فقد عُرف عن العناصر المهاجرين غناهم، في الوقت الذي يستخدم بعضهم الآخر الترغيب بالتقرّب من سلطة التنظيم، والترهيب، في أحيانٍ أخرى، لإجبار الأهالي على تزويجهم. تقول أم عمر، من أهالي مدينة الطبقة: قام التنظيم بإنذار جيراني بإخلاء شقتهم خلال 48 ساعة، من أجل الاستيلاء عليها وجعلها ملكاً للتنظيم، بحجّة عدم وجود عقدٍ يثبت ملكيتها. وبعد مدّةٍ فوجئت بأنّ الجارة أم أحمد لم تُطرد من الشقة، ولأعلم بعدها أنها زوّجت ابنتها ذات الـ10 أعوام لأحد عناصر داعش مقابل البقاء. قالت وهي تبكي: "ما كان عندي حلّ ثاني. وين نريد نروح؟ نصفى بالشارع يعني؟ ما عندنا مكان يأوينا. عرض عليّ مهاجر ليبي أنه أزوّجه وحدة من بناتي مقابل أنه يخلينا بالبيت، ووافقت. لكن صوت سارة ما يفارقني. وقت أخذوها مني كانت تصرخ وتبكي: ماما ما ريد. خلّوني معكم. أريد أظلّ مع أخواتي. الله يخليكي قوليلهم لا". وفي قصةٍ أخرى تتحدّث إحدى الشاهدات من مدينة منبج عن المهور التي يدفعها العناصر للأهل: قام جارنا بتزويج ثلاثٍ من بناته لمهاجرين أتراك، مقابل مهرٍ قدره مليون ونصف مليون ليرةٍ سوريةٍ لكلٍّ من بناته اللواتي لم يبلغن الـ15 سنة. كما يقول أبو سامر، من سكان الريف الشرقيّ لدير الزور: زوّج عمّي ابنته، البالغة من العمر 16 عاماً، من مهاجرٍ تونسيٍّ مقابل مهرٍ قدره مليوني ليرة سورية.

زواجٌ مؤقتٌ وعقودٌ شكلية

يستسهل عناصر التنظيم الطلاق. ويرجع ذلك، على الأغلب، إلى افتقادهم لنية الاستقرار والاستمرار في زيجاتهم، بالإضافة إلى أنّ التقرب من المجتمعات المحلية يعدّ أحد أسباب الزواج. ويتم الطلاق غالباً لدى تغيير العناصر لأماكن إقاماتهم، أو في أوقات الهزائم والانسحابات. وهذا ما جرى في الزيجات التي عقدت مع بنات قرية الدانا، التي كانت معقل التنظيم في إدلب، إذ أقدم العناصر على تطليق زوجاتهم قبل أن يفرّوا في بداية العام الماضي. وفي حين لا يبدي عناصر التنظيم أيّ التزام أخلاقيٍّ تجاه زوجاتهم؛ يشترط المهاجرون عليهنّ عدم الحمل. تقول شقيقة ندى (17 عاماً) من أهالي ريف دير الزور الشرقيّ): بعد مرور خمسة أشهر على زواج أختي قام زوجها التونسيّ بتطليقها لأنها حملت. فقد أثار موضوع الحمل غضب المهاجر الذي أقدم على ضربها ضرباً مبرّحاً بحجة أنها خالفت الشرط المتفق عليه بعدم الحمل. كما عُرفت حالاتٌ مماثلةٌ ولنفس الأسباب في مناطق أخرى. تقول أم عائشة، البالغة من العمر ثلاثة عشر عاماً، من إدلب، والتي كانت متزوجةً من مهاجرٍ من كازاخستان: كان سبب طلاقي هو إخلالي بشروط الاتفاق بيني وبين زوجي. فبعد مرور عام على زواجي حدث الحمل. وعندما علم غضب كثيراً وهجرني. ثم رمى عليّ اليمين وتمّ الطلاق. وتشير أم عائشة إلى أنه قد تمّ تزويج قرابة المئة من البنات لمهاجرين أجانب وعرباً في مناطق إدلب، لكنها لم تشاهد أو تسمع عن أية حالة حملٍ أو إنجاب، على حدّ قولها.

تفتقر عقود الزواج بعناصر التنظيم إلى الصفة الرسمية، إذ تنعقد بالإيجاب والقبول، بحضور أحد شيوخ التنظيم والشهود، لتودع الورقة في المحكمة الشرعية. وهذا لا يضمن شيئاً من حقوق الزوجة، سوى المهر المقدّم لأبيها والذي تمّ دفعه. وإذا كانت الأوضاع الكارثية التي تمرّ بها البلاد قد ساعدت على ظهور هذه الحالات؛ فإنّ الآثار السلبية التي تنتج عن مثل هذه الزيجات بدأت تتكشف بالرغم من الجهل.

كتائب "الحمامجيّة" قادمة

مروان خلف

إلى جانب القرارات الكبرى التي يصدرها تنظيم الدولة، والتي تهدف إلى إحداث تغييراتٍ مؤثرةٍ في نمط حياة محكوميه، بحجّة النهج الصحيح؛ يعمد التنظيم إلى التدخّل في كلّ عادات السكان. فقد أصدر ديوان الحسبة التابع لداعش في البوكمال قراراً يقضي بمنع تربية الحمام فوق أسطح أبنية المدينة، ويمهل المربّين مدّة أسبوعٍ للتخلص من طيورهم.

وطالب البيان "عوامّ" المسلمين بإبلاغ الحسبة عن أيّ شخص تسوّل له نفسه الاستمرار على هذا العمل، قطعاً للمفسدة المترجّحة من إيذاء المربّين لجيرانهم المسلمين وكشفٍ للعورات وهدرٍ للأوقات. فيما يتوعّد القرار مخالفيه بالعقوبة "التعزيرية"، من غرامةٍ وسجنٍ وجلد. وبذلك تنضمّ أقلية الحمامجية المسكينة إلى باقي "الفئات" الاجتماعية المقموعة من قبل الدواعش، مثلها مثل مستمعي الأغاني ولاعبي الورق وأصحاب قصّات الشعر والذقون غير المتناسبة مع هيئة "العوام" التي يرضى عنها التنظيم ومتملقوه المحليون. ليشكّلوا، مع متن الأغلبية الصامتة (المدخّنين)، تياراً اجتماعياً عريضاً يحرمه داعش من تسلياته، دون أن يوفّر له بدائل عنها سوى العقوبات.

لكن، في الوقت الذي يستطيع فيه المدخّنون تحدي الضيم الداعشيّ، وتدبّر أمر سكائرهم خفيةً وبصعوبة؛ يستحيل على الحمامجية إخفاء هوايتهم أو مهنتهم بعيداً عن سماء المدينة التي تترصّدها أعين الدواعش و"عوامّهم". وفي هذه الحال لن يجد الحمامجّي من خيارٍ سوى التوقف عن ولعه، دون أن يعرف مصير طيوره التي دفع لأجلها سنواتٍ من الصبابة، ومبالغ غير قليلةٍ، وبضع معارك مع زملاء الكار على الطيور التي أغوتها أسرابٌ أخرى.

لا شكّ في أن تربية الحمام ليست من الهوايات المحبّذة اجتماعياً. وقد سبق أن حازت، في الكثير من المناطق، على لقب "السوسة" التي تسيطر وتتحكم بأصحابها لمدّةٍ طويلةٍ من الزمن. وغالباً ما تلصق بأصحابها الكثير من الصفات الجاهزة التي لا تمتّ إلى المحاسن بصلةٍ، مما يدخلها، بطريقةٍ ما، في إطار العادات التي تصنّف ضمن (الظواهر السلبية) المضرّة أو غير المستحبّة اجتماعياً. وبهذا يراهن داعش على الرأي المحافظ الكامن في المجتمع، والذي لن يستطيع إبداء معارضةٍ علنيةٍ لقراراتٍ كهذه قد يجدها الكثيرون جيدةً نظرياً، بعد أن يغضّوا النظر عن ما سيحدث للمتضرّرين المباشرين من هذا الهوس الداعشيّ، ودون أن يدركوا الأسباب العميقة التي تقف خلف هذا النوع من القرارات التي لا يمكن عزلها عن السياسة التي يتبعها التنظيم في تغيير المجتمع وقولبته بالشكل الذي يراه مناسباً، مستخدماً في ذلك بالطبع قوّة التعزير، من جلدٍ وسجنٍ وغراماتٍ، لإخضاع المجتمع وإرهابه، فضلاً عن التشهير بـ"المخالفين" الذين كان ذنبهم أن اعتادوا على التدخين، أو على حنجرة ذقونهم، أو طيّروا الحمام قبل أن تحلّ في ديارهم "دولة الإسلام" العظيمة التي سيهتزّ نظامها بسبب سيكارة!

وإذ تستهدف هذه القرارات بمجملها فئة الشباب في المناطق الخاضعة لداعش، فربما كانت الغاية منها في النهاية هي إغلاق طريق الحياة الطبيعية عليهم لدفعهم إلى التوجّه نحو ساحات القتال في المستقبل. وهو ما يبدو بعيداً عن تفكير الذين لم ينخرطوا في صفوف التنظيم طواعيةً، ولم يطيروا من الفرح بقدومه إليهم. لكنها، في المقابل، ستزيد الاحتقان الذي بات من الصعب حصر أسبابه ضد داعش، خصوصاً في أوساط الشباب الذين لم تغرهم دعاية الجبروت.

قد يخيّل للدواعش أنهم يقومون بعملية إصلاحٍ شاملةٍ للمجتمع الفاسد الذي ينظرون إليه بصفته رعيةً وعوامّاً خطائين، بينما يقوم رجال الحسبة بمهامّ تقويم الناس الذين أعماهم الشرك والكفر لسنوات. لكن، في مقابل ذلك، يصعب على صاحب السلطة أن يخفي هوسه بسلطته طويلاً، مهما غلّفها بثياب القوانين الشرعية التي ستتساقط مع الأيام لتكشف عن جنونٍ ووجوهٍ بشعةٍ لن تقوى الحياة الطبيعية على تحمّلها. وفي النهاية، توجد هذه القوانين لكي تخترق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة الإسلامية
خلافة على منهاج النبوة
ولاية الفرات
ديوان الحسبة

لا إله إلا الله

التاريخ:20/ ربيع الثاني / 1436 هـ
الموافق : 9/ 2/ 2015م

إعلان

م/ منع تربية الحمام فوق سطوح المنازل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

على جميع مربي الحمام فوق أسطح المنازل إزالتها بشكل كامل في مدة أقصاها أسبوع من تاريخ صدور هذا الإعلان ومن يخالف يكون عرضة للعقوبة التعزيرية من غرامة مالية والسجن والجلد .

فعلى عوام المسلمين إبلاغ الحسبة عن إي شخص تسول له نفسه الاستمرار على هذا العمل وذلك قطعا للمفسدة المترجحة من إيذاء لجيرانه المسلمين والمسلمات وكشف للعورات وهدر للأوقات.

والله ولي التوفيق

هل تدريب قوّات الثورة مقدمةٌ لتدخلٍ دوليٍّ أكبر؟

ناصر عنتابي

تشير تصريحات المسؤولين الأمريكيين الآن إلى اقتراب موعد البدء بتطبيق برنامج اختيار وتدريب قوّات "المعارضة السورية المعتدلة"؛ فقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية عن نشر 400 مدرِّب عسكريٍّ وعشرات الطواقم سواهم لتأمين وتجهيز معسكرات التدريب في كلٍّ من السعودية وتركيا، بعد أن خصّص الكونجرس مبلغ 500 مليون دولارٍ لدعم هذا البرنامج في أيلول الماضي.

وفي ذات الوقت، لم يوفّر الرئيس الأمريكيّ باراك أوباما مناسبةً إلا ونفى فيها فكرة تدخّل القوّات الأمريكية على الأرض، وهو ما أعاد التأكيد عليه حين طلب مؤخراً تفويض الكونغرس لمحاربة تنظيم الدولة. لكنه ضمّن "إستراتيجيته" الحربية ضد التنظيم احتمال قيام "قوّاتٍ أمريكيةٍ خاصّةٍ" ببعض العمليات "عند الحاجة". لتطرح هذه الإجراءات جملةً من التساؤلات عن فاعلية وفائدة برنامج التدريب وآفاقه، في ظل تعقيدات الوضع الميدانيّ وترتيب سلم أولويات الإدارة الأمريكية، الذي تتصدّره مكافحة داعش.

عدد القوّات ووظيفتها

تحدّث الناطق باسم البنتاغون عن حجم القوّات السورية المزمع تدريبها، والذي يقدّر أن يبلغ 5400 مقاتلٍ في السنة الأولى، ليصل في الإجمال إلى 16000 ألفاً على ثلاث سنوات. وحُدّدت المهامّ الثلاث الأساسية المنوطة بها بتنفيذ عملياتٍ هجوميةٍ ضد تنظيم الدولة، والدفاع عن المدنيين، ودعم المعارضة السياسية السورية. وبالرغم من عدم وجود أيّ ذكرٍ لمهامّ معلنةٍ لمواجهة قوّات الأسد؛ فسّر بعضُ المحللين واجبي دعم الائتلاف السوريّ وحماية المدنيين كأسبابٍ نظريةٍ لمواجهةٍ محتّمةٍ مع قوّات الأسد لمنعه من تحقيق مكاسب على الأرض، ولإبقاء الضغط على النظام للوصول في النهاية إلى تسويةٍ سياسيةٍ، وفق تصوّر الإدارة الأمريكية للحلّ في سوريا. لكن، مع ذلك، يبقى من غير المعلوم بعدُ طبيعة التشكيلات العسكرية، ونوع الأسلحة والعتاد الذي ستجهّز به، ولمن ستعود مسؤولية وضع إستراتيجيتها وإدارة عملياتها أو مناطق انتشارها.

احتياجات القوّات والمخاطر

لا شك أنّ تأمين الإمداد اللوجستيّ، من ذخيرةٍ وطعام وغير ذلك، يعدّ أبرز الاحتياجات التي ستواجه المجموعات العسكرية المدرَّبة. تضاف إليه الحاجة إلى المعلومات الاستخبارية والإسناد الجويّ في بعض الحالات. وتعدّ العلاقة مع المجتمعات المحلية وباقي الفصائل الثورية غير المنضوية في البرنامج الأمريكيّ، والتي تقوم بقتال قوّات الأسد أو داعش، واحدةً من المعضلات التي ستواجه هذه القوّة؛ إذ إنّ الفصائل الثورية الأخرى لن تنظر بعين الراحة إلى هذه القوّة ربما، في حال لم تكن للأخيرة أدوارٌ قتاليةٌ ظاهرةٌ ضد جيش الأسد والميليشيات المتحالفة معه، إذ إنّ "نشر القوّات الجديدة تدريجياً وتوكيلها بمهام فائقة الطموح، و/ أو نشرها في أراضي معركةٍ متنازعٍ عليها بشدّةٍ قد يؤدّي إلى فشلها أو تفككها"، بحسب ما جاء في تقريرٍ أعدّه معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، والذي سلّط الضوء على أهمية أن لا تتعرّض هذه التشكيلات إلى هجماتٍ متوقعةٍ من تنظيم الدولة، أو من طيران النظام وميليشياته على أقلّ تقديرٍ، قد تؤدّي إلى إنهاكها، ليصبح الإلقاء بـ 5000 آلاف مقاتلٍ "معتدلٍ" و"مُدرَّبٍ" ضرباً من العبث.

وبناءً على هذه المعطيات يصبح السيناريو الأكثر ترجيحاً لتذليل العقبات التي ستواجه نجاح هذه القوّة، ولتخفيف المخاطر المحدقة بها؛ هو إيجاد رقعةٍ جغرافيةٍ آمنةٍ ومحميّةٍ في الداخل السوريّ - منطقةٍ عازلةٍ ربما؟- تضمن جاهزية هذه القوّات وتجنّبها هجوم أعدائها المحتملين، لتشكّل فكرة إنشاء المنطقة العازلة تحدياً آخر للقرارات السياسية الأمريكية والدولية.

وقد قدّمت تجربة المعارك في كوباني، وفي بعض المناطق العراقية، نموذجاً جيّداً على قدرة القوّات المحلية، بالتعاون مع التغطية الجوية لقوّات التحالف، على التصدّي لتنظيم الدولة. وهذا ما سيشجّع إدارة أوباما على المضيّ قدماً في برنامج التدريب. لكن الأمر لا يبدو "بهذه السهولة" في المناطق الأخرى الأكثر حساسيةً، خاصّةً إذا لم يؤخذ بعين الاعتبار عامل تأمين الدعم الشعبيّ للبرنامج، والذي يتحقّق جزءٌ كبيرٌ منه بإثبات حسن النية تجاه الثورة وعكس ذلك تجاه نظام الأسد، وهذا لا تقدّمه سياسة النفس الطويل البليد التي ينتهجها أوباما وإدارته.

CNN - صورة أرشيفية لتدريب جنود عراقيين

«شباب الثورة» من التنسيقيّة إلى المنظمات الأجنبيّة الداعمة

عمر الباشا

يشيع القول إن الشباب هم "وقود الثورة" عموماً، أية ثورة وفي أيّ مكان وزمان. ويستند هذا القول إلى ما تتّسم به هذه الشريحة العمرية، عادةً، من الحماس والجرأة والرفض، فضلاً عن طزاجة القيم والرغبة في الحياة الإنسانية الحرّة الكريمة، قبل أن تنهكهم المصالحات والتوافقات التي تتراكم على روح المرء مع التقدّم في العمر. وقد أثبتت ثورات البشرية صحّة هذه القاعدة، كما فعلت ذلك ثورات الربيع العربيّ، وصولاً إلى الثورة السورية التي بدأت مظاهراتها بمجموعاتٍ من الشباب المخلص المتحمّس، كصاعق ألهب حماس السكان الذين باتوا يخرجون مجموعاتٍ إلى ساحات الاحتجاج الحاشدة، خلال السنة الأولى.

ولكن طول أمد الثورة -مرّةً أخرى، ودائماً- والقمع المتزايد وغير المتناسب مع طبيعة الاحتجاج، نقل هؤلاء الشباب من الصيغة الأولى البسيطة للاعتراض على النظام إلى أشكالٍ أعقد وأشدّ خطورة. وتفرّعت مسالكُ ما بدا سهلاً في البداية (ساحة تحرير سوريةٌ تحفل بالمنصّات والأغاني والفرح الحرّ، مع بعض القنابل المسيلة للدموع...) إلى غابةٍ من الدروب التي لا تتضّح لها نهاية؛ من المجموعات المسلحة المرتجلة إلى كتائب وألويةٍ و"جيوش"، ومن المساعدات شبه الشخصية للمطلوبين إلى منظماتٍ يصعب حصرها، ومن كاميرا الموبايل إلى دورات تأهيل "الإعلاميين" وانتظامهم في شبكات مراسلين برواتب، ومن الشوارع الرئيسية في المدن إلى زواريبها، وصولاً إلى عنتاب واسطنبول وبيروت وسواها، ومن التنسيقيات إلى داعش.

لا شكّ أنه مشهدٌ مدوّخٌ، ولا سيما عندما يلقي ثقله على كواهل شبابٍ في العشرينيّات من العمر، دخلوا هذه الدوّامة دون تأهيلٍ يذكر، وباتوا يرقبون سنين العمر "الحاسمة" تمضي وهم دون شهادةٍ جامعية، إذ اضطرّ معظمهم إلى ترك الدراسة بسبب الملاحقة أو خوفاً منها، ودون مهنةٍ واضحة، ودون مخططٍ مقبولٍ ومطمئنٍ للسنوات التالية. وإذا كانت الأشهر الأولى قد حملت الواحد منهم على جناحيّ موجة النبل الجماعيّ التي اجتاحت جمهور الثورة، وأزاحت التفكير في كلّ القضايا الشخصية؛ فإن النوازع صارت تطلّ برأسها، وتقوى مع مرور الأيام وبُعد المسافة عن أرض الثورة ومجرياتها اليومية ومزاجها الخاصّ. وإذ بالشابّ (والشابة، تماشياً مع النسويين) يعاوده ميله "الطبيعيّ" إلى الاستعراض، كيف لا وقد أتاح له "دوره" (الحقيقيّ أو المزعوم) في الثورة، وعدد أصدقائه الفايسبوكيين من الشهداء، فرصةً فسيحة. وإذ به، حين يعمل في الإغاثة أو الإعلام، يحرص بعنايةٍ على أن يفصل نفسه عن "مادته" من البشر، هنداماً وتجهيزاتٍ تواصليةً وسوى ذلك من "إكسسوارات" الناشط المنفيّ. وإذ به بحاجةٍ إلى الحبّ والبحث عن الزواج، إلى جانب نصف دزينةٍ من العلاقات أتاحتها ظروف العمل للثورة ووسائل التواصل والفوضى الاجتماعية. كما أنه بحاجةٍ إلى الشهادة الجامعية، التي صار يحصّلها بمجرّد الادعاء الشفويّ المباشر، أو بالشراء من السوق المفتوحة الناشئة لتزوير الوثائق السورية، أو بتعويضها عبر مجموعةٍ كبيرةٍ من وثائق حضور "دورات التدريب"، تملأ سيرةً ذاتيةً باهرةً وأكثر.

وعلى الطرف الآخر جاءت المنظمات الأجنبية. ودون الدخول في الكلام الغامض والعشوائيّ عن ما يهتمّ منها بتجنيد المتعاملين، فقد قدّمت هذه المنظمات، بأدائها المرتبك وتلمّسها الطريق في وسطٍ لا تمتلك له خريطةً سابقة، للناشط المنفيّ اليوم/ الثائر حقيقةً أو زعماً بالأمس، دون قصدٍ، كلّ ما قد يحتاجه لكي تفسد روحه؛ العلاقات مع المنظمات الدولية ومسؤولي الخارجيات وموفديها، والتقدير والاحترام والندّية التي لم تكن ضمن أحلامه حتى، ومجموعةً كاملةً من الإكسسوارات، مع القابلية الدائمة للتطوير، سواءً من المنظمة نفسها أم عبر التنقّل بين المنظمات، وهو الأشيع، وأخيراً... المال اللازم ليغطّي كل ما سبق من احتياجاتٍ، ولينفصل شعورياً عن ما بات يسمّيه "الداخل". وما الذي يبغيه ناشطنا أكثر من هذا؟ بعد أن "سُرقت ثورته" وهام في الشتات الإقليميّ القريب وعينُه على المهجر الأوروبيّ البعيد، ليرتّب أوضاعه هناك ويعود إلى "باب رزقه الجميل".

ولكن، هل هؤلاء فقط هم "شباب الثورة"؟ بالتأكيد لا. فنظرةٌ واحدةٌ إلى فيديوهات انتصارات الثوّار على قوّات الأسد متعدّدة الجنسيات كفيلةٌ بإبعاد كلّ صور السخف هذه، وبتجديد الثقة بعزائم عشرات آلاف المقاتلين الشبان. وجلسةٌ واحدةٌ في إحدى مقاهي عامّة السوريين في اسطنبول، وسط عددٍ لا ينتهي من الشبّان الباحثين عن عملٍ بأبخس الأجور وسكنٍ بأردأ الظروف، كفيلةٌ بالقول إن مئات الآلاف من هؤلاء لن يسكتوا طويلاً عن غيّ الناشط الناطق المزعوم باسمهم.

مفاتيح السجن السوري*

محمد عثمان

يجترح هذا الكتاب تجربةً غير مألوفةٍ، بجمع «المصطلحات» التي جرى تداولها في السجون السورية في عهد الأسدين، وتبويبها بشكلٍ قاموسيٍّ مرتّبٍ أبجدياً، بالاعتماد على رواياتٍ منشورةٍ لمعتقلين سابقين.

ضمن جهود مركز أمم للتوثيق والأبحاث، الذي يولي عنايةً خاصّةً بملفّ السجناء اللبنانيين في سورية، لاحظ فريق أمم تكرار مفرداتٍ خاصّةٍ اكتسبها المعتقلون السابقون في هذه السجون. بدأت فكرة تدوين هذه الكلمات كأداة عملٍ تعين على فهم الشهادات الشفوية التي كان الفريق يجمعها. وبمقدار ما كان البحث والتوثيق يتقدّمان، كانت ملامح هذا الفهرس تتبلور وتتكامل. حتى أتى نشره في إطار «تحرير» السجناء من رغبة سجّانيهم في منع التواصل المعتاد فيما بينهم، وإحالتهم إلى نوعٍ من البلبلة تبقيهم مشتّتين.

من القاموس:

فضلاً عن المصطلحات التي صارت «مألوفةً»، كالدولاب والكرسيّ الألمانيّ والبلانكو وبساط الريح، من أدوات التعذيب، والمفردات المفهومة مباشرةً، كرئيس المهجع والتفقّد والسّخرة والقاووش؛ ترد في الكتاب كلماتٌ ذات دلالاتٍ بالغة الغنى والتصوير، تشكّل معاً مناظير متعدّدةً للاطّلاع على هذه التجربة المريعة من كوّاتٍ مختلفة.

سيّارات اللحمة: هي الآليات المغلقة التي تُستعمل لنقل السجناء إلى مكانٍ آخر.

التشريفة (الترويضة): جولة التعذيب الأولى التي يتعرّض لها السجين عند وصوله إلى سجنٍ ما.

التعليم: وهو التأشير على سجينٍ تمهيداً لتعذيبه. والمؤشّرون هم الحرس المناوبون الذين يراقبون السجناء من الشرّاقة، بدلالة ملابسهم (أبو البيجاما الخضرة)، أو موضعهم (صاحب الفرشة الثالثة). وهو من مصطلحات سجن تدمر.

الشرّاقة: فتحةٌ في منتصف سطح أيّ مهجعٍ في سجن تدمر، مُشَبّكةٌ بقضبانٍ حديدية. من خلال الشرّاقة يراقب السجّانون السجناء من أعلى ويُعلّمون من يحلو لهم منهم.

التبنّي: هو أن يتبرّع سجينٌ شابٌّ، أو قويّ البنية، بحمل العقوبة عن سجينٍ آخر، كبير السنّ أو ضعيف البنية، جرى تعليمه في الليلة السابقة.

الفدائيون: وهم المتطوّعون من المساجين للقيام مقام زملائهم في المهامّ الخطرة، مثل إدخال الطعام إلى المهجع، أو عند التعليم، لينوب الفدائيّ عن الضعيف أو المريض في تلقّي الخمسمائة جلدةٍ.

سَيِّفْ: فعل أمرٍ يراد منه حضّ أحد السجناء على الاستلقاء على جنبه، إفساحاً في المجال أمام الآخرين للاستلقاء بدورهم، نظراً لاكتظاظ المهجع.

الاستحباس: هو التأقلم مع السجن وفيه. بطريقةٍ يبدو معها السجين وكأنه وُلد في السجن، دون أن يعيش في انتظارٍ دائمٍ لإطلاق سراحه.

التروست: هو نظامٌ استحدثه بعض السجناء، وبموجبه يودِعون ما لديهم من أموالٍ ليُصار إلى توزيعها في ما بينهم بما يفي بحاجة كلٍّ منهم. وقد راج هذا النظام بين السجناء اليساريين على نحوٍ خاصّ. والأصل اللاتينيّ للكلمة Trust يعني اندماج عددٍ من الشركات في مؤسّسةٍ واحدةٍ بشكلٍ تفقد فيه هذه الشركات استقلاليتها.

التنفّس: مدّةٌ محدّدةٌ يخرج خلالها السجناء من مهاجعهم وزنازينهم إلى ساحة السجن. وفي تدمر يكون عادةً مناسبةً للتعذيب والإهانة. فأطلق عليه بعض السجناء اسم تفطّس.

الرهائن: هم المعتقلون لا لتهمةٍ تخصّهم، بل بسبب تواري أحد أفراد عائلتهم عن الأجهزة الأمنية.

مهجع البراءة: وهو مهجعٌ في سجن تدمر، يودَع فيه من أبرئت ساحتهم ولكن لم يُفرج عنهم.

اعتزّ بنفسك: أمرٌ يوجّهه السجّان إلى السجين ليتّخذ الأخير وضعيّة «وقفة العزّ» مرفوع الرأس، مما يمكّن الأول من ضربه على زلعومه ضربةً تؤدي إلى كسر العنق، وقد تسبّب الموت في الحال.

وَقَع في الحمّام: التفسير الرسميّ الأشيع لوفاة سجينٍ ما نتيجة التعذيب والضرب.

مجموعة الحفظة: وهي مجموعةٌ تحفظ، إضافةً إلى القرآن والحديث، ما تمكن تسميته بسجلّ سجن تدمر، أي أسماء من دخله من الإسلاميين ومصائرهم.

* صدر الكتاب في بيروت، عام 2012، من إعداد محمود حمادي، وإشراف مونيكا بورغمان ولقمان سليم.

فتيات الجهاد
فاطمة الألمانية في داعش

ترجمة مأمون حلبي عن الإنكليزية *

كانت فاطمة. ب تعيش أوكيزبيرغ مع والديها وثلاثة من أخوتها وأخواتها، في شقة تقع في الطابق الرابع من أحد المباني. يفتح والد فاطمة الباب، حمدي. ب: "ماذا تريدون؟ لقد رحلتْ". شعره مسرّحٌ بعناية. ليس من الصعب تخيّل حمدي، 48 عاماً، كرجل ودود، بل حتّى مرح. لكن لا شيء يملأ عينيه الآن سوى الحزن. قبل ذلك سبق لرجال الشرطة زيارة منزل العائلة ليسألوه عن اختفاء فاطمة، وقد حُدّد له موعدٌ لمراجعة المحكمة بعد وقتٍ قصير بصفته شاهداً. "لقد قلتُ كلّ ما لديّ"، يقول حمدي بإصرار، كما لو أن ذلك يمكن أن يحميه من أسئلة إضافية. إنها أسئلةٌ لا جواب لديه عنها. لقد ألقوا على كاهله تفسير ما لا يمكن تفسيره: حقيقة أن ابنته إحدى المسلمات الشابات اللواتي ابتعدن عن العالم الغربيّ ليبدأن حياةً جديدةً خلف النقاب في سورية والعراق؛ في عالم لا وجود فيه لحقوق النساء، ولا للمياه النظيفة، وحيث لا أحد قد سمع بالتأمين الصحيّ.

وحسب مسؤولين أمنيّين ألمان، اتجّهت حوالي 100 امرأة إلى منطقة الحرب. الكثيرات منهنّ سافرن مع أزواجهنّ، لكن كثيراً من الأخريات سافرن كنسوةٍ عازباتٍ يبحثن عن أزواج، وبعضهنّ أردن أن يقاتلن على خطوط الجبهات بأنفسهنّ. لا يريد حمدي أن يسمع أيّ شيءٍ من هذا. إنه يقول إن ابنته في تركيا، وهو ما يدّعيه كثيرٌ من آباء وأمهات الأبناء المفقودين ليحموا أنفسهم. يقولون للجيران أو للشرطة إن أبناءهم يقضون عطلةً في مكانٍ ما خارج البلاد. في أيّ مكان، لكن ليس في سورية. إلا أن المسؤولين متأكّدون أن فاطمة انضمّت إلى الجهاديين في سورية.

معظم النسوة اللواتي غادرن ألمانيا للانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية أعمارهنّ بين (16 و27) عاماً، وهنّ من كلّ أنحاء البلاد. لنعترف أن المشهد السلفيّ في أوكيزبيرغ صغيرٌ ولا يُعتقد أنه ميّالٌ إلى العنف، لكن حتى هنا، يوجد أولئك الذين ينشرون الدعوة إلى الالتزام بالشريعة.

استطاع أحد هؤلاء أن يكسب مجموعةً كاملةً من النسوة الشابات في أوكيزبيرغ لصالح التوجه الراديكاليّ. فاطمة وأختها أمينة، الأكبر سناً، كانتا جزءاً من تلك المجموعة.

رأى حمدي ابنتيه تتغيّران، لا سيّما عندما بدأتا بتغطية وجهيهما. لكنه يسأل ماذا كان بإمكانه أن يفعل؟ "ليس ممنوعاً ارتداء النقاب". عدا عن ذلك، ماذا على أبٍ أن يفعل عندما تختار بناته الفضيلة عوضاً عن حياةٍ ممتلئةٍ بالفتيان والكحول؟ لكن، بعد ذلك، حاول حمدي أن يتدخل بعد أن قابلت فاطمة رجلاً من المغرب عن طريق الإنترنت. كانت تريد أن تصبح مخطوبةً. كان والداها معارضَين بشكلٍ قاطع، لكن الأوان كان قد فات. اختفت فاطمة في كانون الأول 2013، وذهب والدها إلى الشرطة ليبلّغ عن فقده لها. لكن لم يكن بوسعهم أن يفعلوا سوى القليل ليساعدوه، وحالياً يعتقد حمدي أن المسؤولين عن تطبيق القانون يستحقون اللوم جزئياً عن مصير ابنته. "أيّ بلدٍ هذا، الذي يسمح لفتاةٍ دون السنّ القانونية أن تغادر دون إذن؟".

بعد شهرٍ من اختفاء فاطمة سافر والدها إلى تركيا ودخل سورية مع ابنته أمينة، واستطاعا تتّبع فاطمة إلى قريةٍ جبلية ليست بعيدةً عن مدينة اللاذقية. القرية مقرٌّ لما يسمّيه المحققون الألمان (البيت الألمانيّ)، وهو مكانٌ يذهب إليه في البداية كثيرٌ من الجهاديين الألمان ليتكيّفوا مع سورية. استطاع حمدي وأمينة أن يُقنعا فاطمة بالعودة إلى أوكيزبيرغ، واتصلا بالشرطة الألمانية للإبلاغ عن وصولهم الوشيك لكي يتجنبوا المتاعب عند الحدود. لكنهما لم يخبرا المحققين عن الرحلة التي سبقت مغادرتهم.

كان يمكن للعائلة أن تستأنف حياتها العادية في أوكيزبيرغ، وكان من الممكن لابنتي حمدي أن تبتعدا عن النزعة الإسلاموية الراديكالية. لكن الأمور لم تجرِ على هذا المنوال. أمينة، أكبر الأختين، تزوّجت شاباً وانتقلت معه إلى إقليم ويستفاليا. أما فاطمة، فيقول المسؤولون إنها لم تنجح فقط بالعودة إلى سورية، بل أيضاً حققت أمنيتها بالزواج؛ من جهاديٍّ بالطبع.

* النسخة الإنكليزية من مجلة دير شبيغل الألمانية (14 شباط 2015).

مصير كايلا مولر المأساويّ

وضاح بيطار (عن تقارير صحفية)

حين أعدمت داعش الطيار الأردنيّ معاذ الكساسبة حرقاً، ونشرت فيديو هذا العمل الوحشيّ، ردّت الحكومة الأردنية بإجراءاتٍ ثأريةٍ، فأعدمت سجينين لديها من منظمة القاعدة، محكومَين بالإعدام منذ سنواتٍ، وشنّت سلسلةً من الغارات الجوّية على مواقع لداعش في مدينة الرقة وجوارها. في إحدى هذه الغارات قُتلت كايلا مولر، الأسيرة لدى داعش منذ سبعة عشر شهراً، كما أعلن التنظيم. ثم أكّد الرئيس الأميركيّ باراك أوباما خبر مصرع مواطنته البالغة من العمر 26 عاماً.

منذ تخرّجها، عام 2009، في جامعة أريزونا، كرّست مولر حياتها لخدمة الناس. فانهمكت في شؤون الإغاثة في دارفور لمدّة ثلاث سنواتٍ، وأسهمت في أعمال عددٍ من الجمعيات الإنسانية لإغاثة المحتاجين في مناطق عدّةٍ عبر العالم. كما عملت في تعليم الأطفال اليتامى في الهند. وبعد عودتها إلى الولايات المتحدة، من أسفارها العديدة، عملت في مركزٍ لإيواء النساء، وفي مركزٍ طبّيٍّ لمعالجة مرضى الآيدز.

مع اندلاع ثورات الربيع العربيّ، سافرت مولر إلى مصر لتعلم اللغة العربية بهدف المساهمة في أعمال الإغاثة في البلدان العربية، حيث تعرفت إلى الناشط السوريّ الشابّ عمر الخاني، الذي ستربطها به علاقة حبٍّ ستدوم حتى نهاية حياتها المأسوية.

عمر الخاني، مثله مثل كايلا، كان يعمل في شؤون الإغاثة وفي التصوير الفوتوغرافيّ. الخاني، الذي عُرف بمعارضته للنظام السوريّ، عاد بعد مدّةٍ إلى دمشق ليواصل عمله الإغاثيّ في الداخل، ويتواصل مع كايلا عبر السكايب. في أواخر عام 2012 اجتمع العاشقان مجدّداً في اسطنبول، حيث سكنا إحدى شقق المدينة، وطرقا أبواب المنظمات الإغاثية والجمعيات الخيرية لتأمين المساعدات للاجئين السوريين. وعلّمت كايلا أطفال مخيم كلس الرسم.

كانت كايلا وصديقها السوريّ على تواصلٍ مع منظمة أطباء بلا حدود، عبر فرعها الإسبانيّ. وفي آب من عام 2013، اجتازا الحدود باتجاه حلب للمساعدة في حلّ مشكلة اتصالاتٍ في مركز المنظمة في المدينة. أمضيا ليلةً في حلب، ثم ركبا سيارةً في الصباح قاصدين معبر باب الهوى. لكن مجموعةً مسلحةً تابعةً لتنظيم الدولة أوقفتهما على الطريق واحتجزتهما.

تم إطلاق سراح عمر بعد نحو شهرين، في حين احتفظ التنظيم بكايلا التي أمضت في الأسر نحو سنةٍ ونصفٍ إلى حين مقتلها. في غضون ذلك أرسل التنظيم فيديو مصوّراً لكايلا إلى أهلها، وطالبهم بدفع فديةٍ ضخمةٍ (6 ملايين وستمئة ألف دولار). بعد انقضاء شهرٍ من المفاوضات التي لم تفضِ إلى نتيجةٍ، انقطعت أخبار كايلا تماماً، ولم يعد التنظيم يردّ على اتصالات أهلها.

تشير بعض المعلومات الصحفية إلى قيام قوّاتٍ خاصّةٍ أميركيةٍ بعمليةٍ استخباراتيةٍ فاشلةٍ لتحرير كايلا. حين وصلوا إلى المكان وجدوه فارغاً، من المحتمل أن التنظيم نقلها إلى مكانٍ آخر، بالنظر إلى بقايا من شعرها عثروا عليها هناك.

بعد إطلاق سراحه بمدّةٍ قصيرةٍ، عاد عمر الخاني إلى الداخل على أمل إقناع التنظيم بإطلاق سراح حبيبته. وقد قال لهم إنها زوجته، ظناً منه أن مقاتلي داعش قد يتساهلون مع امرأةٍ غير مسلمةٍ متزوجةٍ من مسلم. قام المسؤول الداعشي باستجواب كايلا بشأن علاقتها مع عمر، فخافت أن يصيبه مكروهٌ وقالت إنه خطيبها وليس زوجها، رغم وجود اتفاقٍ مسبقٍ بينهما على التظاهر بأنهما متزوّجان، إذا وقعا في موقفٍ من هذا النوع.

وهكذا رُدّ عمر على أعقابه، وبقيت كايلا في الأسر إلى حين أعلنت داعش عن مقتلها في غارةٍ للطيران الأردنيّ على مدينة الرقة.

حين يقتتل شبّيحة الأسد... في أحد معاقلهم

ما زالت قرية الربيعة تشهد جدلاً حاداً بسبب منشورات ناشطٍ فضائحيٍّ يسمّي نفسه "صقر الفساد، الربيعة، كشف الحقائق" (عرضنا له في العدد السابق من "عين المدينة"). وتطوّر الجدل إلى هجوم مسلح، شنّه من اتهمّهم مكافح الفساد، على شابٍّ اشتبه أنه من يقفُ وراء الفضائح وإساءات الفيسبوك في حقهم. وأعلن أحد أبناء القرية على صفحته الفايسبوكية انكشاف شخصية مكافح الفساد: "صقر الفساد هوي محمد الشمالي ابن حمد، بعد المراقبة والتحري"، وأنهم ألقوا القبض عليه في "المقصف الغربي. وما رضي يعطيهم موبايلو، وهرب بالسيارة، ودعس رجل واحد، وعلقت الدنيا". ولوحق المشتبه به إلى منزله وأُطلقت عليه النار فأصيبت والدته، كما كتب بعض المستائين من الحادثة على صفحة "صقر الفساد"، معبّرين عن غضبهم من سلوك المهاجمين الذين استفردوا بشخص ضعيفٍ وعائلةٍ فقيرةٍ مثل عائلة محمد شمالي. وذكّر آخرون مطلقي النار بأن المشتبه به شخصٌ أميٌّ يستحيل أن "يفكّ الحرف". ولحظةً بلحظةٍ وقت الشجار كانت تفاصيل ما يحدث تُنقل على صفحة مكافح الفساد متعاقبةً: "قوّسوا أمه وهو لسّا متخبي بالبيت"، و"لهلق ما رضي يعطي موبايله"، و"أخدوه المشايخ على بيت ضرار باكير، ما كان يرضى يحلف". وفي منزل ضرار باكير سوّيت المسألة وتأكد "كبار الضيعة انه موهو اللي مينشر هالحكي الفاضي"، بحسب ما ورد إلى الصفحة. قبل أن يظهر "صقر الفساد" ساخراً من حماقة خصومه وذاكرتهم الضعيفة، إذ كان الشخص الذي اتهموه هو بطل إحدى حلقاته في مسلسل كشف الحقائق عن فاسدي الربيعة وخونتها. وتمنّى "صقر الفساد" من "خونة الربيعة" أن يقتلوا "محمد شمالي" لأنه "حرامي وخائن وبيّاع ذخيرة متله متلهن". وأسف لأن الرصاص الذي أطلق في الربيعة اليوم لم يقتل أيّ لصٍّ من لصوص الضيعة.

وبالتزامن مع الأخبار المتتالية والتهديدات "بالتقويس والشحط والشبح"، حاول كثيرٌ من المعلقين تهدئة الموقف، وتذكير الأخوة المتقاتلين على الفيسبوك وفي الضيعة أن "سمعة الربيعة صارت بالأرض". وعبّر بعض هؤلاء عن غضبه مما يحدث باللعن والتجديف وشتم الفيسبوك الذي يجعل من الكلمة ناراً قد تحرق الجميع. وبالكفر وبالتوسّل بالربّ، في آنٍ واحدٍ، طولب "صقر الفساد" من قبل بعض أبناء الضيعة المغتربين في دمشق، أو على جبهات القتال في حلب ودير الزور ودرعا، أن يتوقف عن "إشعال الفتنة"، وترك قضية الفاسدين للدولة وللجهات الأمنية غير الغافلة عنهم: "يعني يا صقر مفكّر الدولة نسيانتهن هالكم فاسد؟"، لكنها تؤجّل الحساب العسير إلى الوقت المناسب بعد أن تسحق الإرهابيين، بحسب ما قال عقلاء الفيسبوك الغيارى على سلم ضيعة الربيعة الأهليّ.

وأمام العدد الكبير ممن توسّلوا لـ"صقر الفساد" أن يوقف حلقات مسلسله، بحسب ما كتب، أعلن أنه، و"كرامة للشهدا ولعيون السيد الرئيس"، سيكفّ مؤقتاً عن ملاحقة اللصوص، متوعّداً إياهم بعودةٍ قريبةٍ مع مزيدٍ من حلقات كشف الفساد.

صور لقتلى الجيش الأسدي من قرية الربيعة

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

المريعيّة... قريةٌ مدمّرةٌ ومنسيّة

عدسة ربيع حميدي - خاص عين المدينة